الباب السابع عشر

الفصل الأول

فى شأن مؤتمر الآستانه

ولنعد إلى كلامنا فى شأن المؤتمر فنقول :

قد كان من نتيجة المخابرات السالفة الذكر أن المؤتمر عقد فى الآستانه فى ٢٤ يونيو ١٨٨٢[١] من غير أن يكون للدولة العلية معتمدا فيه[٢] . وفى جلسته الأولى وقع المعتمدون على البروتوكول[٣] الآتى تعريبه وهو :

أن الحكومات التى وقع وكلاؤها بالنيابة عنها على ذيل هذا البروتوكول تتعهد أنها لا تقصد البته اغتنام أرض ما ولا الحصول على امتياز ما ولا أن يكون لرعاياها من الامتيازات المتجربة ما لا يستطيع أن يناله غيرهم من رعايا أى الدول فى مصر وذلك فى أية مسألة حصل التوافق عليها بسعيها واشتراكها فى المخابرات لتنظيم أمور تلك البلاد .

(التوقيع)

الروسيا	فرنسا	أوستريا	ألمانيا	انكلترا
أونو	ديمانويل	كاليس	هرشفلد	دوفرين

وبعد التوقيع على هذا البروتوكول أخذ المؤتمرون يتداولون فى المسألة وقد ذكر فى الكتاب الأزرق[٤] صورة رسالة تلغرافية بعث بها اللورد دوفرين سفير انكلترا بالآستانه إلى اللورد غرنفيل وزير خارجيتها يشتمل على بيان ما جرى فى المؤتمر حتى يوم ٢٦ يونيو وهو يوم تاريخ الرسالة وهذا تعريبها كالآتى :

---

(١) إجتمع المؤتمر فى ٢٣ يونيو بناء على دعوة من فرنسا للنظر فى المسألة المصرية .

(٢) من الأمور الغريبة أن يجتمع مؤتمر دولى فى الآستانه للنظر فى المسألة المصرية دون أن تشارك فيه حكومة الآستانه أو الحكومة المصرية . والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية انضمت إلى هذا المؤتمر بعد عقد جلسته الأولى بأيام .

(٣) أطلق على هذا البروتوكول ميثاق النزاهة .

(٤) نقل عرابى ذلك من سليم النقاش فعرابى لم يطلع على الكتاب الأزرق لعدم درايته بالإنجليزية ، وإنما اطلع عليه النقاش وللتأكد من ذلك انظر . مصر للمصريين جـ ٥ ، ص ٣٦ . ما نصه «فى الكتاب الأزرق صورة رسالة تلغرافية بعث بها اللورد دفرين سفير إنجلترا فى الآستانه إلى اللورد غرنفيل وزير خارجيتها . . الخ» . وهو ما أورده عرابى نصا .

عقد المؤتمر أمس جلسته الثانية كما أنبأت حضرتكم بالتلغراف فكان افتتاح أعمالنا أننا وقفنا جميعاً على البروتوكول الأول وهذه صورته

وفقاً لما جاء فى أمركم الصادر إلى بالتلغراف الذى وصلنى من حضرتكم بتاريخ ١٧ الجارى وقد أخبرنا الكونت كورتى سفير إيطاليا بأن المذكرة التى رجوناه أن يبلغها لسعيد باشا (رئيس الوكلاء بالآستانه) قبلها حضرة المشار إليه بصفة شبيهة بالرسمية فقلت أثر ذلك أن حكومة جلالة الملكة بالإشتراك مع حكومة فرنسا كان لها الإهتمام الأول والسعى الأهم فى المخابرات التى أدت إلى إئتمار وكلاء الدول الست بالآستانه للتداول فى مسائل مصر فبناء على ذلك استميح أن يرخص لى فى استلفات أنظار رصفائى الأجلاء إلى أهم الأمور فى الحالة الحاضرة فأبينها بجلاء واختصار . على أننى أقول وأن يكن رصيفى وكيل الحكومة الفرنسويه أقدر منى على إيضاحها بالنظر إلى ما يعهد فيه من بلاغة الكلام وفصاحة القول إلا أننى أقدم منه فى السفارة هنا ولذلك أرى من فروضى أن أقوم بهذه المهمة على ما فىَّ من الضعف والعجز .

ولقد كان من حسن حظى أن الأمور التى ستدور عليها مذاكراتنا ومباحثاتنا هى فى ذاتها واضحة جلية وأن ضرورة المباشرة والإسراع فى إتخاذ التدابير الفعاله والوسائل المقتضاة أمر مقرر عند الجميع لا يحتاج إلى دليل وبرهان وأن آراء حكوماتنا جميعاً على وفاق تام فى هذه المسألة . كل ذلك لقيته من الأسباب المسهلة لأن الخص لكم مجمل الحوادث ببيان يسير فأقول :

لا أغالى أن قلت أن الفوضاء[1] بكامل ما يحتمل معناها قد تمكنت فى مصر تمكنا شديداً فى الأشهر الأخيرة (يريد اللورد إنه لم يكن للحكومة فى مصر أثر من الوجود وهو إفتراء محض وكذب صريح) فقد رأينا قوما من الجهادية عصوا بلا سبب شرعى صحيح ينشرون به مقاصدهم الخفية فكان أول ما بدى منهم العسف والشدة والاعتصاب ثم دفعهم ذلك إلى مخالفة الأوامر ومنها اتصلوا إلى الثورة والعصيان ثم إلى اغتصاب السلطة والحكم فى البلاد فنشأ عن ذلك اختلال الإدارة ووقوف حركة الأعمال المتجرية المألوفة وبات الفلاح غير قادر على تسديد ما عليه من الأموال الأميرية إذ لم يبق فى القطر أمنُ

(١) كذا فى النص وصحتها الفوضى .

ولا ثقة للتجار تبعثهم على شراء حاصلاته وبذلك تضيع ولا شك واردات الحكومة ويفقد دخلها وتصبح المصالح المتجربة فى تضعضع عظيم وخسران جسيم وهذه الخسارة تلحق برعايا الدول كلها وتضربهم ضرراً وفيراً (كل هذه دعاوى كاذبه لا برهان ولا حجة لمدعيها فضلا عن كونه يجهل الحقيقة تمام الجهل ولم يشهد بعينى رأسه تلك المغتريات التى يدّعيها وينمقها من عندياته) قال اللورد :

ولا تقتصر الارتباكات الحاصلة فى مصر على هذه الأمور فقط بل تتناول أيضاً التعهدات الخصوصية المبرمة بين مصر وحكومتى فرنسا وإنجلترا فإنها قد مُست وانكرت ومنح المأمورون المعينون لإنفاذها من إجراء وظائفهم ونزعت منهم الحقوق الممنوحة لهم من أجل إجرائها وأفسدت الطريقة التى شرع فى اتخاذها والسير على مقتضاها حرصاً على مصلحة أرباب الفلاحة والزراعة فى مصر .

وكل هذا ليس بجزء من مائة مما هى عليه الحال الحاضرة التى أوجبت قلق أوربا فإن حياة الأوربيين وأملاكهم فى داخلية القطر أصبحت فى خطر عظيم ولا شىء لدينا يضمن صيانتها ووقايتها وذلك فضلا عن أن الثقة العمومية قد فقدت فأوجبت خسائر جمة وشاهدنا على وجود الرعايا الأوربيين معرضين لأخطار القتل والفتك لا يستطاع إنكاره إلا وهو مجزرة الإسكندرية التى لم يسمع بوقوع مثلها المجزرة التى قتل فيها رعاع الشعب وسفلة القوم إناساً كثيرين مسالمين لا معتدين ومصافين غير معادين وفتكوا بهم فتكا زريعا ويتبع هذا الشاهد تسابق ألوف من أبناء جلدتنا إلى السفر والرحيل من مصر والمدن الداخلية والارياف مع ما فى ذلك من الأضرار التى شملت الجميع ولحوق الخراب التام بكثير منهم .

ومن الواضح الغنى عن البيان أن مثل هذه الحال تحتاج إلى المعالجة بدواء ناجع فعال سريع التأثير (أن مجزرة الإسكندرية التى يستشهد بها اللورد هى من عمل رجال انجلترا فى مصر أعنى السير مالت والمستر كوكسن وموافقة الخديوى توفيق باشا وعمر باشا لطفى محافظ الإسكندرية على إشعال نار المذبحة المذكورة ليتسنى لهم تشويه أعمالنا الوطنية أمام أوربا) قال اللورد :

ولا أنكر أن وكلاء الدولة العثمانية أخبرونا أن قد أهمدت[1] الفتنة وأصلح الخلل

(١) يقصد سكنت .

وإن قد شكلت وزارة جديدة وأعيد للخديوى سلطته ونفوذه وأنه لم يعد بعد ذلك لمصاعب المسألة المصرية وجود أما أنا فأجيب على ذلك أن هذه الروايات ما صدرت إلا عن قصة غريبة فى بابها وأنها عارية عن الصحة بل لا أثر للصحة فيها وقد أخذت على عهدتى أن أبلغ ذلك لسعيد باشا بكلام معتدل وأسلوب غير جاف ولكن بتمام الصراحة والوضوح فإن الحكومة الحالية بمصر ما هى إلا عبارة عن حكومة عرابى باشا ومريديه الثائرين والخديوى بين أيديهم لا قوة له ولا سلطه[1] ومثله المندوب العثمانى (درويش باشا) الذى ما لبث أن أخبر حكومته بأن الحكومة الجديدة والحالة الراهنة أن هى إلا ضرب من العصيان فاز فتغلب ونجح فتسلط وأن عرابى باشا لا يزال هو المالك فى مصر وأنه لا هو ولا غيره يستطيع أن يدفع عرابى من مركزه بدون قوة عسكرية (أن ما نسب إلى درويش باشا من أخبار حكومته بما ذكره اللورد كذب لا حقيقة له) قال اللورد :

فهل تصبر الدول الأوربية بعد ذلك على استمرار هذه الحال فى ولاية لها علائق متجرية مهمة فيها وعدد كثير من رعاياها وهل يجدر بها أن نتركها مقراً للقلاقل والارتباكات والسلم العمومى موقوف على وجود الراحة فيها لاشك أن الدولتين الغربيتين فرنسا وانجلترا لا تستطيعان الصبر على ذلك وفى وجود رصفائنا الأجلاء اليوم ملتئمين فى هذا المقام دليل كاف وجواب شاف على السؤال الذى تقدم إيراده فإن المؤتمر قد عقد أثر تشكيل وزارة تزعم أنها ساعية فى تنظيم أمور مصر وإصلاح أحوالها وما نعهدها إلا العوبة بين الوزارات (إنما اللورد دوفرين وأشباهه موقدوا نار حرب فلا يسد جشعهم إلا سفك الدماء وخراب البلاد) .

ولقد عرف الكل هذا الداء اليوم فلم يبق إلا التشاور فى كيفية إعطاء العلاج ولحسن الحظ أنه يتفق أحياناً إصلاح مثل هذا الفساد السياسى من غير التجاء إلى وسائل كثير أما تكون شراً من الفساد عينه .

وبناء على ما تقدم وجب على أوربا أن توافق على آراء وكلائها ووجب علينا نحن أولئك الوكلاء أن نسعى فى الوصول إلى التوافق والاتحاد .

وقد كلفتنى حكومتى بصفة كونى وكيلها فى هذه الهيئة أن أعير رصفائى الكرام

(١) لم يكن راغب باشا من المعروفين بالولاء للخديو ، ومن هنا جاء إرتياح العرابيين إليه ، وتشكك الدول الأوربية فيه ، وغنى عن البيان أن عرابى سعد باختيار راغب باشا للرئاسة لأنه يعلم أن وزارته ستكون طوع إرادته .

وأفكارهم أعظم جانب من الرعاية والاحترام وأعد نفسى سعيداً بامتثالى لهذا الإرشاد الصحيح الحق بالنظر إلى ما أعهد فيهم من الخبرة وإدراك حقائق الأمور ولهذا أرى أن مشروعنا ينقسم إلى فرعين الأول (وهو أهم الاثنين وأقربهما منالا) يتعلق بالحال الحاضرة والثانى (وهو ما يمكن إطالة المخابرة والتشاور فيه أكثر من الأول) يتعلق بالمستقبل .

أما الأول فينحصر فى سرعة إعادة حكومة منظمة إلى مصر وجعلها عادلة مستقيمة نافذة الكلمة تعترف بسلطة الخديوى وتكون حاصلة على إرادة القيام بالتعهدات الدولية المستمرة إلى الآن والاقتدار على إجراء أحكامها وعلى ضبط الإدارة ووقاية الأمر(١) وصيانة حياة الأوربيين القاطنين فى القطر المصرى وأملاكهم (يريد إطفاء نور العدل وإعادة حكومة الظلم والجور والاستبداد) .

وأما الثانى فهو عبارة عن احتياط وإحتراس يضمنان استمرار الراحة والسلم فى المستقبل وعدم وقوع حوادث محزنة من مثل التى حدثت أخيراً فأوجبت إجتماعنا اليوم هنا ولاشك أننا لا نصل بالسرعة إلى التوافق على الأمر الأول ولكن لا يجب أن ننسى أن كل حركة ثورية إذا لم تعارض وتقمع تكتسب قوة وعزماً وتمسى راسخة فى أرض نشأتها فلا يعود من السهل استئصال شافتها والعصاة الجهاديون بمصر هم فى هذا الأسبوع أشد وأقوى مما كانوا قبله وسيكونون فى الأسبوع القادم أكثر قوة وتقدما مما هم عليه فى الأسبوع الحاضر وفضلا عن ذلك فإن كثيرين من الأوربيين لا يزالون فى مصر والمدن الداخلية رغما عن مهاجرة كثيرين منهم وأرواحهم جميعا كائنة تحت تصرف عرابى باشا المطلق وأحزابه وسلامتهم من الأخطار متوقفة على سرعة إجراء ما ينحط رأينا عليه وينصرف تبصرنا وتدبيرنا إليه .

ولا أرى بعد هذا محلاً لأن ألقى منذ الآن على حضرات رصفائى تفاصيل التدابير التى ينبغى إجراؤها واستبدال إدارة مصر بها وفقا للمرام وأن أشغل خاطرهم بها فإن المهم فى المسألة الآن قد عرضته حكومة بريطانيا على الدول وأظنها وافقتها عليه ولم يبق إلا أن يكلف الجناب السلطانى صاحب السيادة على القطر المصرى بأن يدافع عن سلطة وكيله فى بعض أمور وأحوال يصير تعيينها وتحديدها بالدقة والضبط وأن يصونها صونا تاماً أكيداً ملاشاة لثورة الجهادية الذين اختلسوا بعصيانهم السلطة والقوة بمصر .

---

(١) كذا فى النص وصحتها الأمن .

وقد أرسل الجناب السلطانى إلى مصر مأموراً عسكرياً رفيع المقام مطلق التصرف ووافقت الدول على إرساله وإن لم تكن هى المشيرة إليه بذلك وصدقت على ما للجناب السلطانى من حق التداخل فى المسألة فلم يبق إلا التشاور فيما إذا لم يكن من المصلحة التداخل بصفة أقوى وأفعل من ذلك التداخل (انتهى كلامى) .

وبعد أن فرغت من مقالى نهض الماركيزدى نوايل (سفير فرنسا بالآستانه) وأفاض فى الكلام فاستحسن بداءَة بدءٍ ما قلته وصرَّح بانطباق رأيه عليه ثم أبان بفصاحة وبلاغة بالغتين امتناع رضى أوربا عن الحالة الحاضرة بمصر إذ لا شيء فيها يضمن سلامة المستقبل من الخطر ثم ختم قوله بملاحظة ابداها وهى أننا لم نجتمع لأجل إرغام حكوماتنا على قبول أرائنا والموافقة عليها وإجراء ما تعين لها إجراءه ولكنا اجتمعنا للتداول والتوافق على أحسن الوسائط وأقربها لحسم النازلة الحاضرة وإهماد الفتنة ثم قال أن الوسائط المؤدية إلى ذلك كثيرة فلا يجمل بنا والحالة هذه إلا أن نبحث أولا فيما لا يمكن أن يكون منها آيلاً إلى الرضى به والاتفاق عليه فنجتنبهُ ونبحث فى غيره إلى أن نتصل بالبحث الدقيق بعد ذلك إلى نتيجة وضعية .

وبعد أن انتهى من كلامه أبدى البارون كاليس (سفير أوستريا) الملاحظة الآتية وهى يحق للمؤتمر جميعاً أن يسألوا رصيفيهم سفيرى فرنسا وانكلترا بيانا مفصلا واضح التحديد وأضاف إلى ذلك قوله : وفى ظنى أنهما لم يفعلا ذلك الآن .

ثم قال أن هذه الأمور ينشأ عنها مسألة وهى : هل يوافق جميع الأعضاء على أن حالة مصر الحاضرة هى فى الصفة التى أشار إليها سفير انجلترا واردف ذلك بقوله أنه (شخصيا) لا يستطيع أن يبدى رأيه فى شأنها وليس له من موارد الأخبار والاستعلام عن وقائع الحال ما لغيره من سفراء الحكومات التى لها مصالح مهمه فى القطر المصرى وكيف كانت الحال فهو يود أن يحصل التوافق أولاً على تحديد الحال الحاضرة فى مصر وحصرها فى بيان جامع شامل .

وقد انضم الموسيودى هرشفلد (سفير ألمانيا) إلى رأى البارون كاليس أما الكونت كورتى (سفير إيطاليا) فقال أنه يقبل البيان الذى قدمته أنا عن حالة مصر ويعتقده صحيحاً غير أنه أضاف إلى ذلك ملاحظة وهى أن المسائل المصرية قد دخلت فى دور صعب شديد الارتباك كثير الاشتباك بأطراف المحن والنوازل تتلاقى فى بحرِهِ العجاج

تيارات شتى وتتصادم فى فلواته الفسيحة قوات مختلفة متباينة وقال أن من رأيه أن حلّ هذه المشكلة لمن أصعب الأشياء وأكثرها أشكالاً وأن على سفيرى فرنسا وانكلترا أن يعرضا على المؤتمر لائحة صريحه البيان والتحديد .

وأما الموسيو أونو (سفير الروسيه) فقال أنه موجود فى مثل مركز البارون كاليس إذ ليس لديه من الاستعلامات عن أحوال القطر المصرى إلا أخبار غير وافية بالمرام ولكن يرى مع ذلك أنه يمكن اعتبار نتيجة الملاحظات التى أبداها اللورد دفرين بمثابة الأمر الذى تريد انكلترا عرضه على المؤتمر .

فأجبت على ما تقدم أننى سأقدم لحضرات رصفائى جميع التفاصيل التى يهمهم الوقوف عليها متى حان الوقت الملائم لتقديمها غير أننى لا أظن أنه من المصلحة أن أشرح وأفصل منذ الآن (أى فى بداية المخابرة والتداول بيننا) طريقة الشروع فى العمل وكيفية السير فيه فإننى لا أستطيع معرفة آراء حضرات الأعضاء مؤلفى هذه الهيأة ومقاصدهم وأفكارهم .

ثم قلت أنه قبل الشروع فى البحث والنظر فى تفاصيل المسألة يجب أن نتفق على مبادىء الأمر ونقررها وأنهُ من رأيى أن الوسائط الفعاله الصارمة التى يجب إجراؤها لإعادة حكومة منظمة إلى مصر يجب أن تصدر عن الحضرة السلطانية وأن للأعضاء الآخرين الحق والحرية أن يعرضوا على المؤتمر غير هذه الطريقة إن كان لديهم ما هو خير منها وانفع كأن يطلب مثلا أن يُمهل درويش باشا وأن يعطى زمن أطول مما أعطى لهُ لأجل إتمام مأموريته أو أن يُقال مثلا أن أمر الخديوى غير نافذ وأنه يجب إيجاد وسائط أقوى وأفعل من الوسائط التى أجريت إلى الآن لأجل ردع العصاة بمصر وقمع طغيانهم وقطع دابرهم أو أن يكتفى (كما عرض ذلك وزير الخارجية) بالنظام والترتيب اللذين وضعهما القناصل الأربعة (قناصل أوستريا وألمانيا وإيطاليا والروسيا بمصر) ويُعتبرا كافيين وافيين بالحاجة فيستنتج مثلا من ذلك أنه لم يعد على المؤتمر أن يعرض غير ذلك من الطرق والوسائل المؤدية للوصول إلى المقصود .

وبناء على ما تقدم أرى أننى قدمت للمؤتمر مشروعاً واضح التحديد وافى البيان إذ قد تبين ووضح القصد الذى نسعى وراءه وقد قال رصيفى سفير دولة أوستوريا أنه يود أن نبين آراءنا فى حال مصر الحاضرة ونرى هل أننا متوافقون على ذلك أم لا وأنى أصادق

على قوله وأوافقه على طلبه ولأجل ذلك شرحت بالتفصيل الكافى كلما أعلم من أحوال مصر غير أنى الآن أُصحح بعض ما فهمت به فى المؤتمر وأخبر حضرات رصفائى أنى علمت من مصدر يوثق به أن درويش باشا اعترف بصفة رسمية أنه لم ينجح فى المهمة التى أرسل بها إلى مصر[1] وأنه لا يستطيع قط إنقاذ الخديوى من استبداد الجهادية من غير أن يكون حاصلا على قوة لا تنقص عن عشرين طابورا من الجند ثم أثبت أن الوزارة المصرية الجديدة ليست إلا وزارة عرابى وأن الخديو باق غير نافذ الكلمة وسيبقى كذلك إذا استمر غير حاصل على جيش يؤيده ويعيد له سلطته (وهذا بهتان ظاهر لا ظل له من الحقيقة أتى به اللورد ليفتح لدولته باب التداخل بالقوة الحربية ، وعندى أن النتيجة التى يمكن استخلاصها مما قدمته هى أنه لم يرد لأحد من رصفائى افادات من حكومته صريحة بينة تعين له الطريقة السياسية التى يجب أن يسير على مقتضاها فى هذا المؤتمر[2] .

التوقيع

دوفرين

(١) لم يعترف درويش باشا بذلك بل أكد فى برقية له إلى الباب العالى أن جميع المصريين والأجانب راضون عن الوضع القائم فى مصر بعد تأليف نظارة راغب باشا ، كما أسرف فى تفاؤله بتحسن الأوضاع فى مصر .

(٢) انظر سليم النقاش : المصدر السابق جـ ٥ ، ص٣٦ - ٤١ .

الفصل الثانى
فى مراوغة السياسة الإنكليزية

وفى أثناء المخابرات التى كانت جارية بين الدول لعقد المؤتمر على النحو الذى تقدم بيانه كانت إنكلترا تتأهب للحرب بحشد الجنود واعداد المهمات وكان أكثر الناس يتوهمون أن ذلك إنما صدر منها على سبيل التهديد والإرهاب للمصريين ولتنال أغراضها بدهائها فأحست الدول الأوربية بما وراء الأكمة ولكنها لم تجسر على مقاومة الإنكليز ومعارضتهم علنا لا سيما بعد أن صرح اللورد سالسبورى فى مجلس نواب إنجلترا أن الإنكليز وحدهم قادرون على نوال مآربهم وتحصيل ما يطلبون رضيت الدول أو لم ترض وكانت الدول[1] تحاول إقناع الإنجليز أن لا يستبدوا فى الأمر وحدهم وأن يستشيروا غيرهم ويشركوهم معهم فى العمل فكانوا ينفرون من ذلك ولا يعترفون لأحد غير الفرنسيس بحق التداخل فى المسألة المصرية إذا اشتعلت نار الحرب وهم وإن كانوا قد عرضوا على الدول أن تشترك معهم فى المؤتمر إلا أن سياستهم كانت فى الباطن على غير ذلك المنهاج وقد عرضوا على الباب العالى أن يرسل جنوده إلى مصر ولكنهم اشترطوا عليه شروطا لا يمكنه الرضى بها منها أن تكون رياسة الجيش العثمانى لقومندان الجيش الإنجليزى وتحت تصرفه[2] .

وكانت إنجلترا على وفاق تام مع الفرنسيس فيما إذا وقعت الحرب فأنها كانت موقنة أن فرنسا تنسحب من الاشتراك فيخلو لها الجو .

وكانت فى كل يوم تعرض على الدول الأوربية أن تشترك معها فى إرسال جنودها إلى مصر وما كان ذلك إلا تظاهراً بما كان مخالفاً لمساعيها الخفية وشاهدنا على ذلك قول المستر باجت سفير انجلترا بإيطاليا فى الكتاب الذى بعث به إلى اللورد غرنفيل وزير الخارجية الإنجليزية بتاريخ ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٢ وهذا تعريبه .

لقبت اليوم الموسيو مانشينى (وزير خارجية إيطاليا) فخابرنى هذه المدة أيضاً فيما عسى أن تكون فيه حكومة الملكة فى إتخاذ تدابير فعالة قاطعة لوقاية ترعة السويس ثم

---

(١) كانت إيطاليا وألمانيا والنمسا والمجر وفرنسا تعارض التدخل العسكرى البريطانى المنفرد .

(٢) لم يرد ذلك فى أى إتفاق بل ورد فى المشروع البريطانى أن تظل القوات العثمانية تحت إمرة قائدها الذى يكون إلى جانبه قائد بريطانى وأن يتم جلاء القوات العثمانية والبريطانية فى وقت واحد بعد إنتهاء العمليات الحربية .

قال لى أن الأخبار الشائعة عن تأهبات الإنكليز الحربية وما نسمع من الأسئلة الملقاة فى مجالسهم وجواب رئيس الوزارة عليها وهى الأسئلة المتعلقة بالوسائل التى يجب إتخاذها لوقاية الترعة وحرية الملاحة فيها لا ينطبق البتة على ما تقرر أن تجرى المخابرة فى شأنه فى المؤتمر(١) وقال أيضاً أنه لا ينكر قط أن هذا الأمر مسبب له بعض الإشمئزاز وأنه يعترف أن الدول ستضطر بذلك إلى الإقرار بأفضلية مصالح الإنكليز السياسية والمتجرية فى حفظ الترعة ووقاية حرية الملاحة فيها ثم استدرك بقوله أنه لا ينكر أيضاً أن للدول الأخرى مصالح مهمة جداً فى الترعة ولاسيما دولة إيطاليا فإنها ثانية الدول بعد انكلترا فى أهمية المصلحة فى خليج السويس فهو والحالة هذه يرى أن التدابير التى يجب إجراؤها لصيانة حرية الملاحة فى برزخ السويس ينبغى أن تكون من المسائل العمومية التى تهم أوربا بجملتها ولأوربا حق النظر فيها فلابد إذا من عرضها على المؤتمر وطرحها إليه للتداول فيها . قال وأنه يأسف لإنفراد انكلترا فى العمل فى المسألة المصرية من غير موافقة جميع الدول عليه وارتضائها به فأجبته أن ليس لدىَّ من حكومتى إفادات تتعلق بما تنويه فى المسألة التى عرَّض حضرته بذكرها وأنه لم يرد إلى قط أمر قاض علىَّ بالدخول فى البحث والمخابرة فى مسألة الترعة فعليه لذلك أن يعتبر الآراء التى أبديتها فى هذا الشأن صادرة عنى لا عن حكومتى . ثم قلت لهُ عما يتعلق بالأسئلة والأجوبة التى تلقى فى مجلس حكومتنا أننى متيقن أن الغاية المقصودة منها بالذات إنما هى حفظ البرزخ حرا للجميع فعلى الجميع إذا أن يعلموا أن انكلترا لا تقبل قط أن يكون لهذه المسألة قسم من المخابرات الدولية فى المؤتمر(٢) . وقلت لهُ أيضاً أنى أعيد على خاطركم المحادثة التى جرت بيننا أخيراً إذ سألتمونى عما إذا كان صحيحاً ما روته إحدى جرائد الفرنسيس مثبته أن اللورد غرنفيل من جهة وموزوروس باشا من جهة ثانية قد وقعا على ميثاق من أحكامه أن يكون لانكلترا فى بعض الأحوال حق الحلول فى

(١) كان المستشار الألمانى بسمارك يرى ضرورة قيام الدول الأوربية بالاستفسار من السلطان الذى وافق على إرسال جنوده إلى مصر عما إذا كانت القناة ستدخل فى نطاق تدخله أم لا وإذا أثبت أنه غير قادر أو راغب فعلى الدول التى تهتم بالقناة أن تقوم بحماية مصالحها فيها الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية جـ ٤ ، ص ٢٢٢٨ .

(٢) اهتمت انجلترا بالقناة ، وحاولت التحكم فيها بالسيطرة عليها ، بعد أن رأت أن مصالحها الإقتصادية والسياسية قد صارت مرتبطة بها نظرا لخطورتها كطريق ملاحى لمواصلاتها مع ممتلكاتها فى آسيا وإستراليا والمحيط الهادى وأفريقية .

عبد المنعم الجميعى : العرابيون وقناة السويس دراسة قدمت لندوة قناة السويس ١٩٥٦ - ١٩٨١ التى أقيمت بقصر الزعفران بجامعة عين شمس بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على تأميم القناة .

لايمكن الرضى بها لأنها غير قادرة على ضمانة الراحة فى الاستقبال وأنه لابد من إبعاد حزب الجهادية ولكنه ذكر ذلك بكلام يحتمل التأويل إلى معنيين .

وأجاب بعد ذلك عما عزى إلى قنصل إيطاليا الجنرال فى مصر بقوله أنه خابر الدول فى تفويض القنصل ألوما إليه أن ينضم إلى رصيفيه قنصلى ألمانيا وأوستريا فى إجراء التسوية التى تقررت للحصول على ما يضمن سلامة الأوربيين فى القطر المصرى وحفظ حياتهم وأنه بناء على ذلك أرسل الإفادات اللازمة فى هذا الباب إلى الموسيودى مارتينو (قنصل إيطاليا الجنرال فى مصر) قال ولكنه مع ذلك لا يرى فى هذه التسوية حسماً للمشكلة وأنهُ غير ناظر إليها بعين الاعتبار بل يعدها تسوية وقتية لحادث مخصوص وأعاد لى ما فاه به غير مرة (وقد نقلته إليكم فى رسالتى المؤرخة فى ٢ يونيو الجارى) متعلقا باستبقاء توفيق باشا على كرسى الخديوية واستبداله بحليم باشا[١] غير أنه صرَّح فى هذه المرة كل التصريح بالأمر وجزم فى الكلام فقال : نمى إلىَّ ما شاع من أن حكومة إيطاليا تود رجوع إسماعيل باشا[٢] إلى خديوية مصر فكان فى هذه الإشاعة افتراءُ محض فإننا على عكس ذلك نرى أنه لابد من استبقاء توفيق باشا وإن دون رجوع إسماعيل مصاعب عديدة يجب تذليلها لأجله . ثم قلت لحضرته فى كلامنا على الأسئلة والأجوبة التى ألقيت فى مجلس نواب لونده[٣] متعلقة بما تنويه حكومة جلالة الملكة فى أمر الخديو الحالى أن سعادته كان قد أبدى لى الملاحظة الآتية وهى أن بين الحكومتين (إيطاليا وانكلتره) ميثاقا مبرما فى هذا الشأن فلم يبق لذلك من اقتضاء للتكلم فيه[٤]

التوقيع

باجت

---

(١) حدثت مداولات فى هذا الخصوص ، لدرجة أن اجتمع مجلس العالى العثمانى للنظر فى مسألة عزل الحديو توفيق ، ولكن الظروف الخارجية حالت دون ذلك .
انظر كتابنا : الثورة العرابية بحوث دراسات ص ١٢٤ .

(٢) ترددت الشائعات حول اعتزام الخديو إسماعيل العودة إلى مصر بتأييد من بعض الدول الأوربية ولكن فرنسا اعترضت على ذلك .
انظر بحثنا الصراع على الخديوية المصرية المنشور بالمجلد ٢٨ بالمجلة التاريخية ص ٣٥٩ - ٣٧٢ .

(٣) المقصود لندن .

(٤) انظر سليم النقاش : المرجع السابق جـ ٥ ، ص٤١ - ٤٤ .

البرزخ فإنى علمت يومئذ من الملاحظات التى أبديتموها أن هذه المقدمات لا يسؤكم حصولها وفهمت أنكم لا ترون فى هذا الأمر إلا حفظ مصلحة جميع الدول البحرية وأن ليس فيه البتة ما يخالف مآل البروتوكول الأول الذى تعهد فيه المؤتمرون بالأمور الموضحة فيه وقد أجبت سعادتكم فى ذلك الحين أن ليس لدىَّ أفادات أو تعليمات مخصوصة متعلقة بهذا الأمر وأنه مع ذلك يمكننى أن أؤكد لكم أن ما فعلته انكلترا فى هذه المسألة لم تفعله إلا لمصلحة الجميع بدون أن يكون لها آرب(١) ذاتى فيه وأنها بوقايتها للبرزخ وإنقاذه من الخطر الملم به بقوة التدابير المؤثرة والاحتياطات الفعالة التى أجرتها تدعو الدول إلى الشكر لها والثناء عليها لا إلى ممانعتها ومعارضتها .

وفيما يتعلق بالتأهبات الحربية التى استلفت شأنها نظره السياسى إليها ذكرت له أنه هو عينه أبدى لى فى إحدى مكالماتنا الماضية أنهُ يحاذر أن تأبى الحضرة السلطانية إجابة الطلب وإرسال جنودها إلى مصر(٢) وأنه لا يعلم أى الوسائل يجب إذ ذاك أن يتخذ لإعادة إنشاء حكومة منظمة لمصر بدل حكومة العصاة الجهاديين التى لم يمكن الأغضاء عنها فقال نعم فقلت إذا كان الأمر كذلك ولزم منه أثر وقوعه أن تتداخل الدول الأوربية فيه فلا أظن أن دولة منها تعارض حكومة انكلترا فيما لها من حق التقدم على الجميع فى هذا التداخل ومن أجل ذلك وجب التأهب والاستعداد بالنظر إلى ما نراه من سير الأمور والأحوال الحاضرة سيرًا قاضيا بهما ملجئا إليها وماعدا هذا فإن لنا مع المصريين حساباً لابّد من ترصيده وهو حساب الخسائر الجسيمة التى تكبدها أبناء التابعية الإنكليزية فى القطر المصرى وحساب ما حل بالضباط الإنكليز فيه قتلاً وفتكاً فاعترف الموسيو مانشينى بحقيقة هذه الملاحظات غير أنه مع ذلك لبث يقول أنه لا يوافق قط على إنفراد انكلترا فى العمل بمصر من غير رضى الدول الأوربية وموافقتها عليه وأنه وإن لم يكن معارضا لسياسة الانكليز فى هذا الشأن إلا أنه مع ذلك يجد نفسه فى مركز صعب .

ولقد طلب أثناء هذه المكالمة أن تشترك الدول الأوربية مع الحكومتين فرنسا وانكلترا فى المراقبة على مالية مصر وأعاد لى ما ذكره غير مرة وهو أن وزارة راغب باشا

---

(١) يقصد مأرب .

(٢) اتفق الجانبان العثمانى والبريطانى على قيام الحكومة العثمانية بإرسال قوة من جيشها إلى مصر يتراوح عددها ما بين خمسة إلى ستة آلاف جندى .

الشناوى : المرجع السابق جـ ٤ ، ص ٢٢٣١ .

الفصل الثالث

حذر دول أوربا من انفراد انجلترا بمصر

يتضح من هذه الرسالة أن الدول الأوربية كانت شديدة الحذر من انفراد انكلتره فى المسألة المصرية تحاول إقناعها بلزوم اشتراك الدول معها ولا تستطيع معارضتها بالعنف والعناء ويتبين أيضاً أن أهم مسائل ذلك الوقت كانت مسألة برزخ السويس وصيانة واستبقاء الخديو توفيق باشا أو استبداله .

وكانت هذه المخابرات جارية بين وزارات أوربا والناس فى مصر لا يعلمون بما سينحط عليه الرأى ولا يعرفون أى الأخبار يصدقون : وكان اختلاف الروايات موجبا لزيادة تشويش الأذهان وعلى الخصوص ما شاع فى ذلك الحين من وقوع الخلاف الشديد بين الدولتين الغربيتين فرنسا وانكلتره فذهب الناس حينئذ إلى أن فرنسا لا توافق انكلتره على نيتها إلا على شريطة أن يخلع الخديو الحالى توفيق باشا ويُدال[1] منه بعمه حليم باشا وأيدوا هذا القول بما شاع حينئذ من أن الحضرة السلطانية راغبة فى هذا الاستبدال وأنها تظهر كل يوم ميلها إلى حليم باشا وتقربهُ منها وهو يعدها بالخضوع والانقياد لأوامرها ونواهيها بخلاف توفيق باشا الذى وافق انكلتره على سياستها وأبى إنفاذ الأوامر السلطانية والعمل بها وخالفها بعدم ذهابه إلى الآستانة أثر ورود الفرمان العالى المؤذن بتعيينه خديويا لمصر فقد كان عليه أن يتوجه إلى دار السعادة تبعاً للرسوم المألوفة ليتقلد من يد الحضرة الشاهانية وظيفته السامية إلى غير ذلك مما رجح فى عقول كثيرين من المصريين صحة وقوع الخلاف بين انكلتره من جهة وفرنسا والباب العالى من جهةٍ أخرى حتى صار فى معتقدهم أن انكلتره لا تستطيع مقاومة الدولتين المشار إليهما متحالفتين فلابد لها إذا من الرجوع بخفى حنين فتخسر مقامها فى مصر وتعود من حيث أتت .

وكان الجميع فى ذلك الحين يترقبون ورود الأخبار من الآستانة ليقفوا على ما كان من أعمال المؤتمرين وما سيستقرُّ عليه رأى الدولة العثمانية . وكانت انكلترا أثناء هذه الأحوال تسعى بدسائسها ودهائها فى الانفراد بمصر وتحشد الجند وتعد ما يلزم للقتال والناس فى غفلة يتوهمون منها إنما نفعل ذلك من قبيل التهديد ليس إلا .

(١) يقصد يستبدل به .

وفى يوم ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٢ وفد على «راغب باشا» رئيس مجلس النظار المستر كارترايت[١] وخابره فى أمر مياه الإسكندرية وطلب إليه أن يعنى بوقاية المستر كورتس وجماعته عمال شركة الماء وصيانتهم وأن يتخذ الوسائل الفعاله الآيلة لحمايتهم ودفع كل مضرة عنهم والا فأنهم يهاجرون مع من هاجر تاركين المدينة من غير ماء فأجابه راغب باشا أنه لا يستطيع إتخاذ مثل هذه الوسائل الخصوصية لوقاية شخص واحد فى حالة كون الحكومة المصرية متعهدة بوقاية جميع الأوربيين وصيانتهم[٢] .

وهذا نص ما بعث به ناظر الخارجية إلى مأمور إشغال القونصليه الإنكليزية فى شأن ما طلبه مدير أشغال قومبانية المياه بثغر الإسكندرية .

جناب مأمور أشغال قونصلاتو دولة انجلتره الفخيمة أتشرف بأن أجاوب جنابكم عن الإفادة التى تكرمتم بإرسالها إلى بتاريخ ٢٧ يونيه سنة ١٨٨٢ ورغبتهم فيها الإلتفات إلى الطلب الذى قدمه الخواجه كورتيس مدير أشغال قومبانية المياه بالاسكندرية وهو إلزام الحكومة الخديوية بتعيين عساكر خصوصية متنوعة من البيادة (المشاة) والسوارى (الفرسان) لحفظ حياة ومال مستخدمى الوابور .

أن حكومة الحضرة الخديوية متعهدة ومتكلفة بحفظ النظام فى داخلية بلادها وعلى العموم وبراحة وأمن سكانها فى كل أطرافها حتى أنه فى اليوم الثانى لواقعة إسكندرية المعلومة وهو يوم ١٢ يونيو سنة ٨٢ تكفل الجناب الخديوى لحضرات القناصل ووكلاء الدول عموماً بحفظ الأمن العام ونشر بذلك منشورات لا تخفى على علم قنصلاتو جنابكم المحترمة ثم بعد ذلك ورد تلغراف من جناب الموسيو دولسبس رئيس قومبانية قنال السويس بناءً على ما بلغه بأوربا من الأخبار المفيدة لعدم أمنية التجارة بطريق القنال[٣] وسأل من الحكومة (بالتلغراف) عن ذلك فأجيب على الفور بتكذيب هذه الإشاعة بالكلية وبأن الحكومة معترفة بأنه من الواجب عليها حفظ راحة القطر عموماً

(١) هو المستر كارترايت Cartwright قنصل انجلترا الجنرال فى مصر .

(٢) تعهد عرابى بصفته ناظراً للجهادية بالمحافظة على أرواح الأجانب وأمنهم ، كما وعد الخديو ببذل عنايته من أجل ذلك .

(٣) روجت انجلترا لفكرة أن العرابيين يهددون الملاحة فى قناة السويس حتى تثير الرأى العام الأوربى ضدهم ، وتتيح لنفسها التدخل فى شئون القناة دون أن يتألب عليها الدول ذات المصلحة فيها .

والقنال خصوصاً[١] والذى يؤيد سريان قوة الحكومة الفعالة فى حفظ الأمن هو ما أجرته من التحصينات والتحفظات الكافية التى بها لم يحصل ولن يحصل البته من الحوادث ما يكون فيه أدنى مغايرة للنظام .

وحيث أن وابور إسكندرية لم يخرج عن كونه من داخلية البلاد المهتم بحفظ نظامها العمومى فأنا نتأسف من عدم وجود موجب لهذا الطلب الاستثنائى الذى طلبه الخواجا كورنيس وأعرف جنابكم أيضاً أن قومبانية المياه الفرنسوية بمدينة مصر لما تحقق لها اهتمام الحكومة بحفظ النظام وتأمين عموم السكان لم يخطر فى بال مديرها موسيو بير أن يقدم طلبا خصوصيا مثل طلب الخواجا كورنيس مدير وابور مياه إسكندرية بل أنه زيادة على ذلك أخبرنى بأنه لا يتأخر أبدا عن الاستمرار على إدارة إشغاله بكل همة .

ومع قيام حكومة الجناب الخديوى بتعهداتها فى حفظ الأمنية وإجرائها التحصينات والتحفظات الظاهرة للعيان وعدم حدوث ما يوجب القلق وتشويش الأفكار من طرف الحكومة السنية فإنى أتعشم بأن تساعدونى فى عدم وجود موجب ولا مقتضى لتشبثات الخواجا كورنيس التى لا أعدها على حسب إعتقادى إلا أنها تكون سبباً جليا لزيادة القلق والارتياب فى أذهان الناس ولا أشك فى كون جنابكم تشتركون معى فى عدم أحداث أمر ما يكون داعياً للإضطراب وأرجو أن تقبلوا مزيد إحترامى ورعايتى الخصوصية لجنابكم[٢] . (انتهى)

وكان المستر كارترايت لا يرسل من الإسكندرية كتابا ولا يبعث برسالة برقية إلى الآستانة أو إلى لوندرة ، من غير أن يملأها بأخبار كاذبة مجسما حالتى الخوف والاضطراب فى البلاد المصرية وغيرها من الترهات التى يعلم الله مبلغ نصيبها من الصدق .

وفى ٢٦ يونيو أرسل إلى اللورد غرنفيل كتابا من نوع ما نوهنا عنه وهذا تعريبه :

(١) حصل دلسبس على وعد من عرابى تعهد فيه باحترام حياد قناة السويس وحرية الملاحة فيها وعدم السماح بسد مدخلها الشمالى على أن يضمن هو الآخر احترام هذا الحياد من جانب الإنجليز .
انظر : Blunt: Secret History P 300 - 301 .
(٢) انظر سليم النقاش : المرجع السابق جـ ٥ ، ص ٤٤ - ٤٧ .

سيدى اللورد :

أرسلت اليوم إلى اللورد دفرين بالآستانة تلغرافا ثانيا بينت فيه أحوال هذه البلاد تحت وزارة رغب باشا الجديدة وأكدت له أن ما يذيعهُ البعض من تداعى نفوذ عرابى وأحزابه إلى السقوط أن هو إلا محض هذيان لا يلتفت إليه فإن نفوذهم على إزدياد مستمر لا يماثلهُ فى سرعة تقدمه إلا تعاظم الخوف عند ذوى البصيرة والنقد من إنتهاء الأمر إلى حد يعسر معه إصلاح الخراب المالى والمتجرى الذى ألم بالبلاد فقد نقص دخل الحكومة كثيراً ونقصت أيضاً واردات الجمارك والسكك الحديدية نقصاً فاحشاً واشتد الخوف من أن الكوبون الذى يستحق فى شهر أكتوبر ونوفمبر لا يمكن صرفهُ فى وقته المعين وقد أوجبت منذ الآن نفقات الجهادية استقراض مبالغ تعتبر دينا سائرا جديداً على الحكومة كل هذا مع نقص الدخل ووقوف حركة الأعمال وتعطل التجارة يضاف إليه ما استولى على قلوب الموظفين الأجانب من الخوف والقلق حتى أن إدارة السكة الحديدية ومكاتب البريد الأميرية والتلغراف أمست لا تستطيع الاستمرار فى أعمالها إلا بشق الأنفس وفوق هذا وذاك نرى الفعلة وسفلة القوم من الأهالى فى فقر مدقع بسبب وقوف الأعمال ولم يبق فيما أظن الا واسطة واحدة لمنع حدوث ما يخشى حدوثه فى داخلية البلاد . . . . ولا يجب أن يكتفى بانقاذ الخديو من عرابى وجماعته أحزاب الجهادية بل يجب المبادرة إلى إنقاذ مالية مصر وتجارتها من خراب يتعذر إصلاحه إذا طالت الحال سائرة على هذا المنوال[١] انتهى (وكل هذا افتراء وبهتان لا ظل له من الحقيقة) .

وفى سادس وعشرين يونيو ورد إلى الأسكندرية نبأ برقى من بنها العسل يخبر بقتل أحد اليونان فيها قيل أن أحد مديونيه الفلاحين قتله وقد كتب المستر كارترايت بذلك إلى اللورد غرنفيل وهذا تعريب رسالته البرقية . قال مبالغاً فيها .

الأسكندرية فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٨٢ .

---

(١) يستخلص من هذه الرسالة ما يلى :

أ ـ محاولة الإنجليز إيهام المندوبين بأن الفوضى قد تمكنت من مصر من جراء استيلاء العرابيين على السلطة مما أدى إلى اختلال الإدارة وإرتباك الأحوال وتوقف حركة التجار ، وعجز الأهالى عن سداد الضرائب ، وعجز الحكومة عن الوفاء بالتزاماتها المالية حيال الدائنين .

ب ـ تعرض حياة الأوربيين فى مصر للخطر .

سيدى اللورد

أتشرف بأن أرفع لجنابكم أنه بالرغم عما تعهد به عرابى من المحافظة على الأمن والراحة على أرواح الأجانب وأموالهم وحقوقهم بلغنى اليوم من مصدرٍ يوثق به ويركن إليه أن المسلمين ذبحوا عشرة من اليونان وثلاثة من الإسرائيليين فى بنها (بلدة واقعة على خطّ السكة الحديدية المؤدية إلى مصر) .

أما الخبر الرسمى الذى ورد على الحكومة فى هذا الشأن فينبئ أن القتيل واحد فقط وهو يونانى وأن الباعث على قتله تمنعه من إعطاء الفلاحين سنداتهم التى له بمقتضاها دين عليهم واجب الأداء وقد أخذت فى البحث الدقيق لأقف على صحة عدد القتلى(١) .

التوقيع

كارترايت

---

(١) انظر سليم النقاش : المرجع السابق جـ ٥ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

الفصل الرابع
الإنجليز يتأهبون لضرب الأسكندرية

وفى تلك الأثناء كانت دولة انجلترا باذلة مجهودها فى استمالة الدول إلى موافقتها على طلبها المتعلق بمسألة مصر والإنفراد فيها صارفة عنايتها إلى حملهنّ على أن يتركنها وشأنها فى مصر وكانت تتأهب للقتال بحشد الرجال وإعداد المدافع والمبرة والذخائر وكان عمالها فى القطر المصرى يرصدون حركات الجهادية وأعمالهم ويتجسسون أخبارهم ويستطلعون أسرارهم وكان المستر بورج ڤيس قنصل انجلترا بمصر شديد الرغبة فى الوقوف على مقدار عدد العساكر المصريين ومبلغ قوتهم وما عندهم من المهمات الحربية وقد كتب بهذا الصدد إلى السير إدوارد مالث القنصل الجنرال بتاريخ ٢٥ يونيه ما يأتى تعريبه وهو .

سيدى .

لقد علمت من مصدر أركن إليه وأعول عليه أن الجهادية قرروا أنه إذا انتشبت الحرب وولج الإنجليز أبواب القاهرة تنقل إذ ذاك عائلات الضباط منهم إلى القلعة ويتحصنون هم فيها فيدافعون عن أنفسهم وقد شرعوا من الآن فى إجراء التدابير اللازمة لذلك وصرفوا فى الأيام الثلاثة الأخيرة معظم عنايتهم إلى هذا الأمر فملأوا الشون والمخازن ميرة وذخيرة واستجلبوا كمية وافرة من الدقيق وعدداً كثيراً من الثيران والبقر والغنم والخيل وهم فى كل يوم يبتاعون ما يجدون من ماشية وعلف ولا يزال الماء المنصرف إلى القلعة من مستودعات شركة المياه بمصر جاريا إليها وما عداه فقد اعتنوا بإصلاح آلات بئر يوسف[١] ليجعلوا ماءها احتياطيا إذا حدث ما يبعث على انقطاع ماء الشركة عنهم وهم من اليوم يستقون منها وقد خزنوا كذلك فى شؤنه التعيينات ومخبز بولاق ٣٥٠,٠٠٠ أقة من البقسماط ولا تزال أفران البقسماط تشتغل الليل والنهار والمسموح أنه يخرج منها فى كل يوم خمسة آلاف أقة وإذا عدلنا قوت الشخص الواحد

---

(١) موجود بداخل القلعة خلف مسجد الناصر محمد بن قلاوون ، وهو بئر حلزونى بنى للإفادة من مائه إذا ما قدر للقلعة أن تحاصر ويبلغ عمق هذا البئر حوالى ٩٠ متراً .
للتفاصيل انظر حسن عبدالوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ، القاهرة ، دار القلم ١٩٦٢ ، ص ٦٥ ، وأبو الحمد فرغلى : الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية فى القاهرة . الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٦ ص١٤٦-١٤٧ .

فى اليوم بنصف أقة من الخبز كان مجموع ما عندهم من البقسماط كافيا لثلاثة عشر ألف جندى فى ستين يوماً وهذا المستر يهرف بما لا يعرف .

قوة العرابيين

أما محصنات القلعة فهى عبارة عن ٤٢ مدفعاً قديماً من المدافع التى كانت مستخدمة فى السفن المصرية على عهد محمد على باشا ولهذه المدافع نحو ٢١,٠٠٠ حشوة ومع هذا فإن هدم القلعة سهل من جهة جبل المقطم حيث أنشئت فى أعاليه (من جهة القلعة) استحكامات متينه وضع فيها ستة مدافع من قبل المدافع التى تقدم ذكرها ولهذه المدافع الستة ٣٠٠٠ حشوة .

ولديهم أيضاً من المدافع المعروفة بمدافع الجبال عدد ٤٩٧ مدفع سبع أتمان سنتيمتراً وخمس أسباع سنتيمترات من صنع كروب ومن هذه المدافع ١٢٠ مدفعاً وضعت فى مراكزها ولكن ليس لديهم مما يلزم لها من الخيل والرجال إلا ما يكفى لخمسة وستين أو سبعين مدفعاً فقط ومع ذلك لا أظنهم أهلا لإدارة أعمالها إذا دهمهم أخصامهم مفاجأة إذ ليس عندهم من جنود المدافع المدربين الذين يمكن الإتكال عليهم أكثر من العدد اللازم لخمس بطاريات أوست فقط .

وعلمت أن لديهم ٥٠٠ حشوة لكل مدفع من مدافع الجبال وأن لهم فى العباسية مدفعاً واحداً من طراز كروب مصنوعاً من الفولاذ يبلغ محيط دائرته ١٤ إبهاماً (بوصة) ومدفعاً آخرا من مدافع أرمستر ونغ فيما أظن زنته ٢٥ طنا .

أما الأسلحة الصغيرة فلديهم مما يصلح للعمل منها نحو ١٣٠,٠٠٠ بندقية من بنادق ريمنكتون ونحو عشرين ألفاً من بنادق أنفلد وعندهم من الفشنك نحو ٢٠ مليوناً لبنادق ريمنكتون وسبعة ملايين لبنادق انفلد ومن الفشنك المعده لبنادق ريمنكتون نحو ١٣ مليونا من صنع معمل هوخام ولودلوف وهى صالحة للإستخدام جيدة أما الباقى وقدره نحو سبعة ملايين فمن صنع المصريين ومعاملهم الوطنية وقد علاه الصدأ فأكله أو كاد فهو لذلك غير صالح للعمل ولا فائدة منه[١] .

التوقيع : بورج

(١) انظر سليم النقاش : المرجع السابق جـ ٥ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

الفصل الخامس

قرارات مؤتمر الآستانة

تقرر فى المؤتمر الدولى المنعقد بالآستانة ما يأتى[1] : ـ قالوا :

بعد أن اعترفت الدول الأوروبية بوجوب المسارعة فى معالجة علل مصر الحاضرة بالدواء العاجل الناجح قررت فى المؤتمر الذى عقده وكلاؤها أن يلجأ إلى سيادة الجناب السلطانى ويسأل أن يتداخل فى مصر وأن يساعد الخديوى بإرسال إليه قوة كافية من الجند لإعادة الأمن والنظام إلى البلاد وإنقاذ مصر من الفوضى التى تمكنت منها ونشأ عنها إنهدار الدماء وخراب ألوف من بيوت الأجانب والمسلمين (اختلاقاً وكذباً) وتضرر كثير من مصالح الأجانب والوطنيين .

وسيكون من شأن الجنود العثمانية بمصر أن تؤيد وجوب احترام الحقوق السلطانية عليها وتعيد للخديوى سلطته ويكون من شأنها أيضاً أن تشرع فى إصلاح حال العسكرية بمصر وفقاً لأصول يتفق عليها فيما بعد اتفاقا عمومياً ويتم ذلك على شريطة أن لا يكون هذا التداخل موجبا لمس الترقيات النافعة التى نفذت فى نظام مصر المدنى والإدارى والقضائى على غير مخالفة لما تقضى به الفرامين السلطانية .

والدول الأوروبية واثقة كل الوثوق فى إلتجائها إلى الجناب الشاهانى ببقاء ما هو مقرر لمصر على حالة فى مدة وجود الجنود العثمانية فيها معتقده إن حقوق مصر والامتيازات الممنوحة لها بمقتضى الفرامين السابقة لا تمس البتة ولا يمس أيضاً شىء من الأصول المقرره لإدارة الأحكام منها ولا من العهود والمواثيق الدولية ولا من أعمال التسوية التى نجمت عنها وتقررت فى شأنها .

أما مدة استقرار الجيش العثمانى فى مصر فتكون ثلاثة أشهر[2] ماعدا إذا طلب الخديوى تمديدها إلى أجل تتفق على تحديده الدولة العلية مع الدول الأوربية وحكومة

---

(١) فى الجلسة السابعة التى عقدها المؤتمر فى السادس من يوليو ١٨٨٢ وافق المؤتمر على إرسال قراره إلى السلطان فى صورة مذكرة مشتركة موحدة الصياغة يطلب فيها إيفاد قوات عثمانية إلى مصر وحول نص هذا القرار .
انظر الكتاب الأصفر الذى نشرته الحكومة الفرنسية فى يوليو ١٨٨٢ . وثيقة رقم ١٥٠ .

(٢) حدد المؤتمر فى قراره شروط التدخل العثمانى لإنهاء الأزمة المصرية وحصرها ببقاء القوات العثمانية مدة ثلاثة أشهر ، وجعل قيادة هذه القوات من اختصاص القادة العثمانيين بالاتفاق مع الخديو .

مصر وتعين قيادة هذا الجيش بالاتحاد فى الرأى مع الجناب الخديوى[١] أما مصاريف هذه التجريده فعلى نفقة مصر وستعين مقاديرها باتفاق يحصل بين الدولة العلية والدول الست الأوروبية وحكومة مصر .

وإذا أجابت الحضرة السلطانية دعوة الدول كما هو فى مأمولها فكيفية تنفيذ الأحكام السابقة الذكر تتم بتوافق يحصل بعد الآن بين الدولة العثمانية والدول الست الأوروبية[٢] (انتهت صورة اللائحة) .

فكتب كل من السفراء إلى حكومته يسألها إبداء رأيها فى هذا القرار تلغرافيا فى سادس شهر يوليو وزادوا على ذلك بأن قالوا :

ومن رأينا (أى رأى السفراء المؤتمرين) أن يكون تقديم هذه اللائحة للحكومة العثمانية بصفة رسمية إذا وافقت عليها حكوماتنا وأن يقدمها كل منا باسم دولته ثم زادوا بقولهم هذه نتيجة مخابراتنا نعرضها على حكوماتنا ولا نجتمع بعد الآن حتى يرد إلى كل منا أفادات شافية من حكومته مبينة رأيها فى هذه المسألة[٣] . (انتهى كتاب السفراء إلى حكوماتهم)[٤] .

فوافقت الدول على تقديم هذه اللائحة ورفضها الباب العالى لمخالفتها للحقوق الدولية فاتخذت انكلترا ذلك حجة لأن تتداخل بالقوة فأوعزت سراً إلى وكلائها ورجالها فى القطر المصرى أن تذرعوا إلى إيجاد أسباب ولو طفيفة لمباشرة القتال وكان ذلك من أيسر الأمور لديهم فان الأميرال سيمور زعم يومئذ أن الجهادية يحصنون القلاع فى الثغر[٥] وقال أن هذا التحصين مناف لحقوقه .

---

(١) لم يكن القادة العرابيين يخشون التدخل التركى فقد سبق لهم إحاطة السلطان علماً بمصدر الخطر الحقيقى على مصر وهو بريطانيا ، كما عبروا عن مخاوفهم من أن تنال مصر على يد بريطانيا نفس المصير الذى لحق بتونس على يد فرنسا . شولش : المرجع السابق ص٢٢٢ .

وكان الخديو أيضاً يود تدخل الجيوش التركية لعلمه أن انجلترا وفرنسا لا تسمحان لها بالبقاء فى مصر مدة طويلة .

(٢) يلاحظ أن المؤتمر لم يخص بريطانيا وفرنسا بصفتهما أكثر الدول الأعضاء اهتماماً بالمسألة المصرية بمركز ممتاز ضمن دول المؤتمر بل أدمجهما ضمن الدول الست .

(٣) من المعروف أن التسوية السلمية من جانب المؤتمر لم تر النور بسبب إنفراد بريطانيا خلال عقد المؤتمر باحتلال مصر .

(٤) انظر : سليم النقاش : المرجع السابق جـ ٥ ص ٥٣ .

(٥) أبلغ سير بوشامب سيمور Seymuour قائد الأسطول البريطانى الرايض فى ميناء الاسكندرية وزارة الحربية البريطانية بأن المصريين يقومون بإنشاء استحكامات حربية ويتابعون إصلاح الدوشمات وبناء المخازن اللازمة لدانات المدافع وتكمله الأبنية الناقصة فى الطوابى .

وجاء تلغراف من الصدر الأعظم إلى الخديوى توفيق باشا يذكر به أن باشكاتب السفارة الإنجليزية حضر إلى الباب العالى وأخبر أن الجهادية المصرية يهددون الأساطيل الإنجليزية فى ثغر الإسكندرية بتحصين القلاع وإقامة الحصون وفى ذلك تهديد للدوناتمه الإنجليزية فإن لم تكّف الجهادية عن تقوية الاستحكامات وتمسك عن تعزيز حصونها من غير إبطاء وإلا اضطر الأميرال سيمور على إطلاق مدافعه على الاسكندرية فيدكها دكاً ويهدمها عن آخرها .

وقد أرسل الخديوى توفيق باشا هذا التلغراف إلىَّ لأجاوب عليه فكتبت إليه بأن مصر لم تعتد على انكلترا ولم تتهدد أساطيلها الحربية بل هى التى تهددنا بمراكبها الحربية وكل ما فى الأمر أن الجارى فى الاستحكامات هو ترميم المختل منها على حسب العادة السنوية[١] وإذا كانت الدونانمه الإنجليزية متخوفة من استحكاماتنا ولم ترد شرا بنا فلتقلع من مينائنا وتعود إلى بلادها بسلام وإنى لأُدهش من أحجام الباب العالى عن مجاوبة السفارة الإنجليزية بذلك .

ثم إن الأميرال سيمور كتب إلى قومندان الإسكندرية يهدده بأنه يطلق مدافعه على المدينة : فيهدمها عن آخرها إن لم تكف الحكومة عن تقوية الاستحكامات وانشاء الحصون من غير إبطاء[٢] فأجابه القومندان المذكور طلبه باشا عصمت بأن لا صحة لما يقول وأن الجهادية لم يهتموا بتحصين القلاع فإنها محصنة وإنما جارى فيها بعض ترميمات عادية .

وشاع هذا الخبر فى المدينة فأيقن الناس بقرب وقوع القتال وأوعز كل من قنصلى فرنسا وانجلترا الجنرالين إلى رعاياهما أن يخرجوا من مصر ويهاجروا منها سريعا فتسابق الأوروبيون إلى الرحيل ولم يبق منهم فى المدينة إلا القليل[٣] حتى أن الخديوى إستدعى

---

(١) كان العرابيون يقومون بترميم بعض الحصون القديمة ، وفى رأينا أنه مهما كان الأمر فإن من حق العرابيين تحصين وترميم مواقعهم الدفاعية .

(٢) الواقع أن سيمور حاول انتحال الذرائع للعدوان على مصر ، وكانت لديه أيضاً أسباب شخصية تدنعه إلى الإسراع فى مباشرة الأعمال الحربية فأسطول بحر المانش كان قد تلقى الأوامر بالانضمام إلى أسطول سيمور ، وكان قائد أسطول المانش أكبر رتبة من سيمور فإذا انضم إليه تكون الرئاسة له لذلك أسرع سيمور فى اختلاق الأسباب لضرب الإسكندرية قبل مجىء أسطول المانش .
عبد المنعم الجميعى : الثورة العرابية ص ٥٤ .

(٣) تسابق رعايا الدول الأوربية على الرحيل ، وامتلأ ميناء الإسكندرية بالسفن المقلة لهم بعد أن نصح قناصل الدول رعاياهم بالرحيل عن البلاد بحجة أن الحرب وشيكة الوقوع . الرافعى : الثورة العرابية ص٣٠٠ .

إليه المستر كولفن مراقب المالية الإنجليزى واتفق معه على أنه يبارح سراى رأس التين ويتوجه بعائلته إلى سراى الرمل فى يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢[١] حيث سيبتدى الضرب على الأسكندرية فى صباح يوم ١١ منه هذا ما حصل الإتفاق عليه وطلب الخديوى من المستر كولفن أن يبلغ ذلك إلى اللورد غرنفيل وزير خارجية انجلترا .

وحيث أن المستر مالت قنصل انجلترا الجنرال كان قد تمارض وانتقل إلى البحر فى ٢٢ يونيو وأقام فى الباخرة (مون چوليا) من بواخر الشركة الشرقية ثم سافر إلى براندیزی[٢] وكذلك تنحى المستر كوكسن قنصل انجلترا بالإسكندرية عن أشغال القنصلية بحجة أنه مريض وحذت حذوه وكيله المستر كالڤر بحجة أنه مريض أيضاً واقتفى أثرهم المستر بورج قنصل مصر - أوعز المستر كولفن إلى المستر كارترايت أن يخبر اللورد غرنفيل بما جرى بينه وبين الخديوى ففعل وأرسل فى اليوم ذاته رسالة برقية إلى وزارة لوندرة[٣] الخارجية ضمنها مآل ما دار بينه وبين الخديوى وأردفه بقوله (وأظن لا خوف على حياة الخديوى ولاسيما إذا لم تطل مدة القتال ومن رأيى أن أنذر درويش باشا بأن الحكومة الإنجليزية تعرفه مسؤولاً عن حياة الخديوى[٤] وأن التبعة تعود عليه إذا أصيب الخديوى بسوء وذلك يوم إطلاق المدافع وقبل نزولى إلى البحر . أ . هـ) .

وقد بلغ الاضطراب منتهاه وأيقن الناس بدنو الساعة آسفين لما سيحل بالإسكندرية من الخطب متكدرين لما ستنمئ به من الخراب والتدمير ورأى كل من قناصل الدول الأجنبية أنه سيلحق برعاياهم قسم عظيم من هذا الخطب فحاولوا إبعاد الخطر المحدق بالمدينة واجتمعوا فى ٧ يوليو للتداول فى هذا الأمر الخطير وكلفوا المستر كارترايت للحضور معهم فأبى وأجاب بقوله أن الأميرال سيمور مارجا القناصل قط أن يتوسطوا فى المسألة . فهو بذلك لا يستطيع الحضور معهم فعقدوا عندئذ مجلسهم ولم يحضر فيه أحد من قبل انجلترا وبالتداول والتشاور قرروا أن يرسلوا إلى الأميرال اللائحة الآتى تعريبها .

(١) الواقع أن الإنجليز عرضوا على الخديو استضافته على ظهر إحدى سفنهم حتى ينتهى الضرب ولكن الخديو اعتذر ثم انتقل هو ومن معه إلى سراى مصطفى باشا بالقرب من سيدى جابر .
انظر عمر طوسون : يوم ١١ يوليو ، ص ٦٠ ، وأحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ص١٦٣ .

(٢) سافر مالت Malet قنصل بريطانيا العام فى مصر إلى إيطاليا فى ٢٧ من يونيو ١٨٨٢ لظروف صحية ، وطالت مدة انقطاعه وقام بعمله أثناء غيابه المستر كارترايت Cartwright السكرتير الثانى .

(٣) يقصد لندن .

(٤) حمل الإنجليز درويش باشا مهمة المحافظة على حياة الخديو وأمنه .

لائحة قناصل الدول الأوروبية بالإسكندرية إلى الأميرال سيمور[١]

أن لرعايانا مصالح مهمة فى الإسكندرية ولهم فيها أملاك واسعة وعقارات كثيرة والمتخلفون منهم عن المهاجرة كثيرون وهو ما دعانا أن نتقدم إليكم ونسألكم هل اقتنعتم من جواب الحكومة المصرية على سؤالكم المتعلق بتحصين القلاع أولاً فإن كان الثانى فإننا نستطيع أن نطلب تعديل الجواب المذكور بحيث يرضيكم ويقنعكم[٢] وإذا كنتم لا ترضون بذلك ولا تريدون أن تقتنعوا لأمر ما فنرجوكم أن تنبئونا عن المهلة التى تتركوها لرعايانا قبل الشروع فى القتال ليتمكنوا من الرحيل .

وأننا نخطركم أن إطلاق المدافع سينشأ عنه كيف كانت الحال ضرر عظيم يلحق بسكان المدينة من نصارى ومسلمين ولابد من أن تنهدم به أبنية عديدة للأوروبيين .

وبودنا لو أنكم ترفعون إلى حكومتكم ملاحظاتنا هذه قبل أن تنفذوا أوامرها .

(التوقيع)

دى فورجس	بارون ساورما	بارون كوسجك	دى لكس	دى مارتينو
قنصل فرنسا	قنصل ألمانيا	قنصل النمسا	قنصل الروسيا	قنصل إيطاليا

فأجابهم الأميرال بما يأتى :ـ

لائحة الأميرال سيمور إلى قناصل الدول الأوربية الجنرالية بالأسكندرية[٣]

تلقيت فى هذا اليوم الكتاب الذى اتفقتم على إرساله إلىّ وتفضلتم فيه بالإستفهام منى عما إذا كنت قد ارتضيت بجواب طلبه باشا على كتابى[٤] الذى أرسلته إليه بالأمس

---

(١) نشر عمر طوسون هذه اللائحة فى كتابه يوم ١١ يوليو ص ٥٢ ، علماً بأن تاريخها كان يوم ٧ يوليو ١٨٨٢ .

(٢) معنى ذلك أن قناصل الدول عرضوا على الأميرال سيمور التوسط بينه وبين العرابيين ولكنه أبى .

(٣) تاريخها ٨٢/٧/٧ .

(٤) تمت الاتصالات بين سيمور وطلبه باشا عصمت القائد العسكرى لمنطقة الإسكندرية ، ولكنها لم تسفر عن أى إتفاق خاصة وأن سيمور طالب بانزال جميع مدافع طوابى الإسكندرية .

ثم تكرمتم وعرضتم أن تتوسطوا فى الأمر بحيث أحصل بواسطتكم على جواب يرضينى فأشكر لكم كثيراً هذه العناية وأجيب على خطابكم بقولى إنى أنفذ إرادتكم إذا كان لكم لدى المومى إليه من النفوذ والسلطة ما تستطيعون به أن تجعلوه صادقاً فى إجراءاته وأن يبطل عاجلاً إشغال التحصين وتعزيز الاستحكامات التى شرع فيها ولا أرى جواب المومى إليه (بالكتابة) كافياً فى حملى على الاقتناع بما يقول وعلى الوثوق بما أكد لى فى جوابه من أن يجيب طلبى ومهما تكن عبارة هذه الكتابة فإنها لا تكفينى بالنظر إلى المصالح المهمة التى عُهد بها إلىّ .

وأخبركم أنى ما أعلنت قط عن عزمى على رمى الإسكندرية بنار المدافع وإذا اقتضت الحاجة لذلك فإنى أوجه قوتى على القلاع والاستحكامات فقط وبذلك لا أرى من موجب لخوفكم من إنهدام منازل الأوروبيين وغيرهم وسأرفع إلى حكومتى أمر الملاحظة التى أبديتموها فى العبارة الأخيرة من خطابكم ونبهتمونى إليها .

وإذا استمرت الجهادية على أشغال تحصين القلاع والاستحكامات فإنى أنفذ فى الحال ما كتبت إليهم به محافظا على كل حرف من حروف تلك الكتابة وكيف كانت الحال فإنى قبل الشروع فى العمل أعلن عنهُ ولا أباشر إطلاق المدافع إلا بعد ٢٤ ساعة أربع وعشرين ساعة من تاريخ الإعلان[١] .

وكتب فى السفينة (لنفنسيبل) بميناء الأسكندرية[٢] تحريراً فى ٧ يوليو سنة ١٨٨٢

(التوقيع)

بوشامب سيمور

ولما ورد هذا الجواب إلى قناصل الدول اجتمعوا ثانية وأخذوا يحاولون اقناع الجهادية بإرضاء الأميرال سيمور ولكن أتعابهم ذهبت سدًى .

---

(١) أوضح سيمور لقناصل الدول أنه سيرفع إلى حكومته ملاحظاتهم التى أبدوها عن وساطتهم ولكن إذا استمر العرابيون فى تحصيناتهم فإنه سيضطر إلى توجيه مدافعه إلى الاستحكامات وأنه سيحدد مهلة أربعة وعشرين ساعة قبل اطلاق النار عليها .

(٢) انظر سليم النقاش : المرجع السابق جـ ٥ ، ص ٥٦ .

الفصل السادس

انجلترا والإنفراد بمصر

ولما تمكنت انكلترا من إقناع فرنسا وباقى الدول الأوروبية بأنها تنفرد بالعمل فى قتال المصريين[1] اختلقت لذلك أسباباً لا ظل لها من الحقيقة وذلك أن المستر كارترايت كتب إلى ناظر خارجية الإنجليز اللورد غرنفيل بما يأتى :-

سيدى اللورد

أرفع إلى حضرتكم أن الأميرال سيمور علم اليوم انه قد وضع مدفعان فى القلعة المعروفة بقلعة (السلسلة) الكائنة تجاه الميناء الجديدة علاوة على المدافع الموجودة فيها (والله يشهد أنهم لكاذبون فإن قلعة السلسلة لم يجرى بها شىء من الترميمات فضلا عن وضع مدافع أخرى) فلم يعد فى إمكانه أن يتحمل هذه الأمور ويصبر عنها[2] ولذلك عزم على إطلاق المدافع فى فجر الثلاثاء الآتى (١١ الشهر) وسأخبر بهذا العزم القناصل الجنرالية والخديوى ودرويش باشا فى مساء هذا اليوم ثم أجرى من التدابير ما يلزم لكى يتمكن الباقون فى الاسكندرية من النزول إلى السفن والإلتجاء إليها .

وكتب فى السفينة (هليكون) بميناء الأسكندرية فى ٩ يوليو سنة ١٨٨٢ .

التوقيع

كارترايت

وفى مساء اليوم المذكور أعلن المستر كارترايت للقناصل جميعا عن عزم الأميرال فأوعزوا إلى رعاياهم أن يهاجروا فى الحال وشاع الخبر بين السكان من وطنيين وأجانب وصار أولئك يتسابقون إلى محطة السكة الحديدية مهاجرين إلى داخلية البلاد منتشرين فى المدن والأرياف وهؤلاء يهرولون إلى البحر لاجئين إلى السفن الراسية فى المرفأ بخارية كانت أو شراعية ولم ينقض اليوم العاشر من شهر يوليو حتى خلت المدن من السكان أو كادت ولم يبق فيها إلا الجند والحامية ونفر قليلون من الأجانب وبعض الأهالى .

---

(١) رفضت الحكومة الفرنسية المشاركة فى أى عمل عسكرى ضد مصر خاصة وأن الدستور الفرنسى ينص على ضرورة الحصول على موافقة مجلس النواب والشيوخ وبذلك أصبحت انجلترا مطلقة اليدين وحدها أمام مصر .

(٢) كتب سيمور هذه الرسالة من على ظهر البارجه انفتسيل فى ٧ يوليو ١٨٨٢ .

وفى مساء اليوم نفسه توجه المستر كارترايت إلى سراى رأس التين وأعلن للخديوى بصفة رسمية عن عزم الأميرال على مباشرة القتال صباح الثلاثاء الواقع فى ١١ الشهر المذكور ثم أشار عليه أن يترك سراى رأس التين ويلجأ إلى سراى الرمل وبعد ذلك قصد درويش باشا فلم يجده فكتب إليه بصفة رسمية يطلب إليه أن يحافظ على الخديوى ملقيا عليه تبعة ما إذا أصيب بسوء أو ضرر(١) .

وفى صباح اليوم العاشر أرسل الأميرال كتابة إلى طلبه باشا قومندان موقع الأسكندرية مؤقتاً ورئيس حاميتها طلب فيها إنزال جميع المدافع المتسلحة بها طوابى استحكامات مدينة الأسكندرية من طابية المكس إلى طابية بورج السلسلة ويدعى زورا أنه شاهد مراكب شراعية مشحونة بالاحجار تفرغ مشحونها فى بوغاز المينا بقصد سد وحبس المراكب الإنجليزية وأنه أن مانع فى تنزيل المدافع أمر بإطلاق مدافع الأسطول على المدينة والاستحكامات حتى يدكها دكا ويدمرها تدميراً فى صباح باكر .

وفيه أيضاً أرسلت كتابات رسمية إلى كل من درويش باشا المندوب السلطانى العالى وراغب باشا رئيس الوزارة المصرية أعلن لهما فيها عن خروج رجال الوكالة الإنجليزية من القطر المصرى أشاره إلى قطع العلائق والصلاة الودية .

وفيه عم الخوف كل من بقى فى المدينة وأيقن الناس بحلول الدمار وصاروا فى انتظار النار والرعب ملء أفئدتهم(٢) وفيه أخذت السفن والمراكب الراسيه فى الميناء فى الخروج منها وذهب الأسطول الفرنسوى قاصدا بورت سعيد(٣) تاركاً الأساطيل الإنجليزية وشأنها تتصرف فى الاعتداء على المصريين بما يوحيه إليها الأميرال سيمور وبما يروق فى أعين رجال الحكومة الإنجليزية من الظلم والعدوان .

وفى صباح يوم عشرة يوليو سنة ١٨٨٢ انعقد مجلس فوق العاده من النظار وغيرهم من الذوات الاختيارية تحت رياسة الخديوى توفيق باشا بحضرة المندوب السلطانى

(١) أخبر الإنجليز درويش باشا أنه فى حالة حدوث ضرب تلقى الحكومة البريطانية عليه مسئولية سلامة الخديو الشخصية وأمنه .
عمر طوسون : مرجع سابق ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) سليم النقاش : المرجع السابق جـ ٥ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) غادر الأسطول الفرنسى الأسكندرية إلى بورسعيد بناء على تعليمات من حكومته خاصة وأن فرنسا رفضت الإشتراك فى ضرب الأسكندرية .
Dicey : The Egypt of the Future P. 171.

درويش باشا وقدرى بك سكرتيره والسيد أحمد أسعد وكيل الفراشة النبوية عن الحضرة السلطانية المرسل مع درويش باشا للنظر فى المسألة المصرية التى ابتدعتها المطامع الإنجليزية .

ولما تلى كتاب الأميرال سيمور المرسل إلى طلبه باشا قومندان المدينة تقرر بالمجلس المذكور بأنه لا يمكن إجابة طلب الأميرال المذكور لما فى ذلك من الخزى والعار الذى يلحق بالمصريين إلى الأبد حيث أن الاستحكامات والطوابى المذكوره ما أنشئت إلا لحفظ الثغور والعساكر ما وجدت إلا للدفاع عن الوطن العزيز فلا يجوز لهم أن يخربوا معاقلهم بأيديهم بمجرد طلب العدو الطامع فى بلادهم بل الواجب عليهم أن يدافعوا عن بلادهم وأن يقوموا بواجباتهم الحربية دفاعا عن شرف الوطن إلى آخر رمق من حياتهم . ولكن قفلا لباب الشر وقطعا لاحتجاجات الأميرال سيمور رئيس الدونانمه الإنجليزية رؤى أن يرسل له وفد مركب من عبدالرحمن بك رشدى ناظر المالية وقاسم باشا وكيل البحرية السابق ومحمد كامل باشا وكيل البحرية حينذاك وتكران بك باشكاتب مجلس النظار[1] ويتلطّفوا به فى المقال ويوضحوا له بأن المصريين ليسوا أعداء للإنجليز وأنه لا يمكن سد البوغاز بالأحجار[2] كما قيل وأنه يمكنه ضبط المراكب المشحونه بالأحجار عند شروعها فى العمل إن وجدت وأما تنزيل المدافع فهذا أمر لا يمكن قبوله لما فيه من مخالفة قوانين الحربية ولما يتبع ذلك من الذلة والإهانه وإنما يمكن إجابة لطلبه وسدً الباب النزاع أن يصير تنزيل ثلاث مدافع من ثلاث طوابى أحدها طابية المكس والثانية طابية صالح والثالثة طابية برج السلسلة[3] وأن يكتفى بذلك ردا لشرف الدونانمه كما يزعم فذهب الوفد وبلغ الرسالة ورجع وأخبر بأن الأميرال المذكور لم

---

(١) ذكر عمر طوسون أن إسماعيل راغب رئيس النظار كان ضمن أعضاء ذلك الوفد .
انظر يوم ١١ يوليه ص ٦٩ .

(٢) تردد أن العرابيين فكروا فى إنشاء سد عند مدخل ميناء الأسكندرية ، مما اعتبره الإنجليز من الأعمال العدوانية وقد أنكر محمود فهمى المهندس حدوث ذلك .
انظر البحر الزاخر جـ ١ ص٢٢٠ .

(٣) رأى العرابيون تفاديا للعواقب التفاهم مع الأميرال سيمور بفك ثلاثة مدافع من الطوابى التى إدعى تركيبها على أن يختار سيمور الأماكن التى يتم رفع المدافع عنها سواء من طابية واحدة أو من كل طابية مدفع واحد ، ولكنه أصر على مطالبه .
محافظ الثورة العرابية : محفظة ٤١ وثيقة تحت عنوان «قرار المجلس العمومى المنعقد تحت رياسة الخديو بسراى رأس التين فى الإثنين ٢٤ شعبان ١٢٩٩هـ .

يقبل بما عرض عليه وصمم على إنزال جميع المدافع كطلبه وإنما تكرم بأن يعافى عساكره البحرية من معاناة تنزيل المدافع وتخريب الطوابى ويسمح للعساكر المصرية بأن يعانوا هذه الأعمال ويخربون معاقلهم بأيديهم وزاد على ذلك بأنه طلب من الحكومة أمراً صريحاً بإعطائه طابية المكس وطابية العجمى وطابية باب العرب وما وراء طابية المكس من الأراضى لإتخاذها معسكرا للعساكر الإنجليزية وأنه إذا لم يجاب إلى طلباته المذكورة باشر القتال عند طلوع شمس غد وحيث أن طلباته غير قانونية ولا يمكن قبولها بوجه من الوجوه خصوصا وأن الفرمان السلطانى يحجر على الخديوى التصرف فى إعطاء قيد شبر من الأراضى المصرية وملحقاتها إلى دولة أجنبية[١] فلذا تقرر رفض طلباته[٢] وإعلان ذلك إلى حكومة الباب العالى صاحبة البلاد المصرية تلغرافياً[٣] مع الاستعداد للحرب بشرط أن الابتداء بها من جهتنا إلا بعد إطلاق ثلاثة جلل[٤] من جهة العدو والمعتّدى وفى حالة وقوع الحرب حقيقة تعلن الأحكام العرفية فى جميع البلاد المصرية وبعد ذلك إنفض المجلس[٥] ثم تحول الخديوى ودرويش باشا ومن معهم من رأس التين إلى سراى الرمل فى أصيل اليوم المذكور عملاً برأى المستر كارترايت كما سبق ذكر ذلك

وهناك أسماء المجلس المنعقد تحت رئاسة الخديوى[٦]

محمد توفيق باشا	خديوى مصر
المشير درويش باشا	رئيس الوفد السلطانى
قدرىّ بك	سكرتير الوفد المذكور

(١) انظر صورة الفرمان الخاص بتولية الخديو توفيق والذى تنص إحدى مواده على أنه لا يجوز ترك قطعة أرض من الأراضى المصرية إلى الغير مطلقاً .

(٢) رفض العرابيون طلبات سيمور حتى لو أدى ذلك إلى الحرب مع عدم مقابلة ضرب المدافع بالمثل إلا بعد خمس طلقات من مدافع الأسطول .

(٣) أرسل الخديو توفيق إلى الباب العالى فى ٧ يوليو برقية بهذا الخصوص نشرها عمر طوسون فى كتابه يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ ص ٥٦ .

(٤) يقصد كلل ومفردها كلة ومعناها طلقة مدفع .

(٥) معنى ذلك أن الحرب بدأت بعد الإتفاق المشترك بين الخديو ونظاره المسئولين ودرويش باشا برفض مطالب الانجليز .

(٦) أضاف عمر طوسون إلى هذه الأسماء أربعة وهم : لطيف باشا من نظار البحرية ، السابقين ، وحافظ باشا من نظار المالية السابقين وطلبه عصمت القائد الحربى بالأسكندرية وتجران بك سكرتير مجلس النظار .
انظر يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ ص ٦٧ - ٦٨ .

السيد أحمد أسعد	عضو بالوفد المذكور
إسماعيل راغب باشا	رئيس النظار وناظر الخارجية
أحمد رشيد باشا	ناظر الداخلية
عبدالرحمن بك رشدى	ناظر المالية
أحمد عرابى باشا	ناظر الجهادية والبحرية
على إبراهيم باشا	ناظر الحقانية
سليمان باشا أباظة	ناظر المعارف
محمود باشا الفلكى	ناظر الأشغال
حسن باشا الشريعى	ناظر الأوقاف
إسماعيل باشا حقى أبو جبل	من الشيوخ
محمد باشا سعيد	من الشيوخ
قاسم باشا وكيل البحرية سابقاً	من الشيوخ
محمد كامل باشا	وكيل البحرية
محمد سلطان باشا	رئيس مجلس النواب
محمد باشا المرعشلى[١]	
محمود باشا فهمى[٢]	

(١) وكانت وظيفته مدير التحصينات العام السابق .
(٢) كانت وظيفته مفتش التحصينات العام .

الفصل السابع
فى إطلاق المدافع على الأسكندرية

بعد إمضاء القرار المذكور بوجوب الحرب صدرت أوامر الجهادية لرؤساء الاستحكامات وأمراء الألويات وفروع الجهادية بالاستعداد للحرب والمدافعه عن البلاد[١] وصار احياء تلك الليلة فى ترتيب ما يلزم إجراؤه للقتال .

وفى اليوم ذاته أيضاً انتشر الخبر فى عواصم أوروبا ونقلته أسلاك التلغراف بأسرع من البرق فارتجت له أقطار العالم واهتزت له جوانب الأرض فرأت وزارة خارجية لوندرا[٢] أن تلطف الخبر للدول الأوروبية مجانبة لمعارضتهن لها فيما تريد أن تفعل فكتب اللورد غرنفيل بالتلغراف إلى جميع سفراء إنجلترا لدى الدول كتابة رسمية وهذا معربها : ـ

من اللورد غرنفيل وزير خارجية جلالة ملكة الإنجليز

إلى وكلاء حكومة انجلترا لدى حكومات باريس وبرلين وڤيانا[٣] وروميه[٤] وبطرسبرج والآستانه .

حرر فى النصف الثانى من اليوم العاشر من شهر يوليو سنة ١٨٨٢

بناء على رسالتى التلغرافية المرسلة إليكم مساء أمس أخبروا الحكومة التى أنتم نائبون لديها عن حكومتنا أن ما سيجريه أميرالنا سيمور بالأسكندرية لا يكون إلا من قبيل الدفاع والمحاماه (عن الأسطول) ولسوء الحظ لا نرى بدا من ذلك غير أننا مع ذلك نصرح أن ليس لنا أرب خفى أو نية غير بينة[٥] .

---

(١) فى رأينا أن العرابيين كان ينقصهم الحصافة فى الرأى وبعد النظر السياسى ، وأنهم كانوا لا يعرفون الموقف السياسى على حقيقته ، وكانوا يعتمدون على ما يتلقونه من بعض الأفراد الأوربيين من الأخبار غير الصحيحة ، كما أنهم لم يكونوا على علم تام بقوة أعدائهم . والجدير بالذكر أن درويش باشا كان من رأيه التسليم بمطالب سيمور وإنه نصح عرابى بقبول طلباته .

(٢) يعنى لندن .

(٣) يقصد فينا (العاصمة النمساوية) .

(٤) يقصد روما (العاصمة الإيطالية) .

(٥) معنى ذلك أن الإنجليز استقر رأيهم على ضرب الأسكندرية ضاربين بأوامر السلطان وطلبات الخديو عرض الحائط وذلك بحجة أن هذا الضرب من أعمال الدفاع الشرعى .

وقد اتضح لنا من تقرير أميرالنا أن حكام الاسكندرية قد استمروا على تحصين القلاع والاستحكامات مظهرين لنا العدوان والبغضاء بالرغم عن نواهى الحضرة الشاهانية وأوامرها الصادرة لهم بالكف عن التظاهر بالأمور العدوانية وخلافا لإرادة الخديوى ولما أبدوه لنا مرارا من أنهم مسالمون مصافون . أ هـ .

وفى الرسالة التلغرافيه المرسله بهذا الصدد إلى اللورد دوفرين بالآستانة زيدت العبارة الآتيه وهى : ـ (وهذا حرصاً منا على مصلحة الجناب الشاهانى الذى خالف الثائرون أوامره ونبذوا مشوراته ووصاياه)[١] فقدم وكلاء انجلترا هذا الخطاب إلى حكومات أوربا وفى جملتهم اللورد دوفرين وكيلها فى الآستانه الذى بعد أن قدم للباب العالى الصورة التى أرسلت إليه كتب إلى اللورد غرنفيل ناظر خارجية دولته بما يأتى : ـ

من الآستانه فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ .

سيدى اللورد

أرفع إلى حضرتكم صورة الكتاب الذى عرضته على الباب العالى مبنيا فيه عزم الأميرال سيمور على ضرب قلاع الاسكندرية إذا لم تستسلم له وهى هذه :

كتاب اللورد دوفرين إلى الباب العالى :

إن سفارة انكلترا تخبر الباب العالى أنه بناء على استمرار حكام الاسكندرية على تحصين قلاعها وتقويه استحكاماتها يعلن الأميرال سيمور فى صباح هذا اليوم إنه عزم على رميها بنار المدافع بعد أربع وعشرين ساعه إذا لم تستسلم تلك الحصون له وتكف عن التظاهر بالعدوان .

وكتب فى ترابيا (مقر سفارة الإنجليز بالآستانه) تحريراً فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ .

قال : وبعد أن قدمت هذا الكتاب بصفة رسمية ذهبت إلى المابين الهمايونى[٢] لأقف على أفكار الحضرة السلطانية وأرى إذا كان من الممكن العدول عن مباشرة القتال فأجابنى الجناب الشاهانى أن حكومته تلقى إلى فى بكرة الغد (أى عند الساعة الخامسة

(١) ترجم عمر طوسون هذه البرقية كما يلى «يجول بفكرنا أن ما تقوم به من الأعمال لم يكن إلا فى صالح السلطان الذين يستخفون بهيطرته» .
(٢) يعنى المعية السلطانية .

أفرنكيه من الصباح) جوابا رسميا ردا على كتابى الذى تقدم إيراده ثم طلب إلى تأجيل إطلاق المدافع على الأسكندرية فأجبته أنى أرفع هذا الطلب إلى حضرتكم ولكنى لا أظن أن الأميرال سيمور يستطيع العدول عما صمم عليه إذا لم يمتثل رجال الحصون لإشارته وينفذوا طلبه . أ هـ .

التوقيع

(دوفرين)

وبعد ذلك كتب اللورد دوفرين بالتلغراف أيضاً إلى الأميرال سيمور بما يأتى : قال «لست أدرى أى الأوامر لديك من حكومتنا وهل أنت مفوض بالتماهل عند اللزوم أم لا فإذا كان الأول لا بأس من تأجيل العمل ثلاث ساعات أو أربع ساعات يتمكن اللورد غرنفيل فى خلالها من النظر فى جواب الحكومة العثمانية فربما كان كافياً لتعديل ما تقرر إجراؤه وذلك لأن هذا الجواب المنتظر لا يمكن وصوله إلى قبل الساعة التى عينتموها لمباشرة القتال[1] . أ هـ .

التوقيع

(دوفرين)

ولا يجهل أحد نتيجة ما كان من أمر هذه المخابرات فإن نار المدافع صبت على القلاع والحصون والترسانة وسراى رأس التين وبالجملة على جميع أرجاء المدينة صباح الثلاثاء الواقع فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ولم تجاوبها مدافع القلاع إلا من بعد إطلاق مدافع الأساطيل نحو ٢٠ عشرين طلقه ثم استمر القتال بين الأساطيل الإنجليزية وقلاع الأسكندرية بعد ذلك إلى منتصف النهار ثم أخذت نيران الاستحكامات فى التناقص حتى تم تدميرها قبيل الغروب .

وحيث كان من المعلوم أن استحكامات الأسكندرية قديمة وجميعها مبنية بالأحجار من مدة سبعين سنة[2] وقد باغتنا الإنجليز بالعدوان على غير استعداد

---

(١) سليم النقاش : المرجع السابق جـ ٥ ، ص ٥٨ .

(٢) هذه الحصون كانت مبنية من عصر محمد على وبعضها كان مبنيا فى عهد الحملة الفرنسية مثل كوم الناضورة وكوم الدكة .

الرافعى : الزعيم أحمد عرابى ص ١٤٦ .

منا[١] فقد كان ضرر شظايا الأحجار المتنافرة من تأثير مقذوفات العدو عظيما أكثر من تأثير المقذوفات نفسها .

أعمال الدفاع فى الأسكندرية

من المعلوم أن للأسكندرية عدة حصون وقلاع ومتاريس وأبراج مستديرة ولكن أكثرها مسلح بالأسلحة القديمة التى لا تصلح لمقاومة الدوارع الإنجليزية غير أن فى بعضها مدافع أرمسترونج وهى وحدها الأسلحة النارية التى تصلح لخرق دروع السفن الإنجليزية .

بيان الحصون

يوجد فى الجهة الغربية إزاء ممر مرابوت حصن من أمنع حصون الأسكندرية وأهمها يسمى حصن مرابوت[٢] وهو واقع فى الجزيرة المسماة بهذا الاسم . فهذا الحصن كان مسلحاً بأربعة مدافع ضخمة منها مدفعين من وزن (١٨ طنا و٨ قطره أباهم) وعدد إثنين من وزن (١٢ طنا و ٩ قطره أباهم) وثلاثين مدفعاً من المدافع الصغيرة وخمسة مدافع من مدافع الهوان .

ووراء حصن مرابوت أى فى الرأس الغربى من الفرضة حصن أخر يعرف بحصن (عجمى) وهذا الحصن كان مسلحاً كحصن مرابوت .

وبعد هذا الحصن حصن المكس وهو على مرتفع من الأرض ووظيفته الدفاع عن مدخل المينا وبين حصن مرابوت وحصن المكس استحكامات معززة بالمدافع .

وكان حصن المكس معززاً بإحدى وثلاثين قطعه من المدافع منها أربع مدافع من ذوات العيار الأعظم «ارمسترونج» .

وتمتد على طول خط المرفأ القديم إلى الميناء الداخله عدة متاريس واستحكامات وهى طابية القمرية وفيها خمسة مدافع وطابية «أم كبيبة» وفيها ١٨ مدفعا ثم برج مستدير وفيه مدفعان وحصن «صالح» المسمى بطابية صالح وفيه ٢٤ مدفعاً .

---

(١) كان الدفاع عن الأسكندرية ضعيفاً ، ولم تتجاوز القوة التى واجهت الضرب ٧٠٠ مقاتل أما حامية المدينة فلم تشترك فى القتال .

(٢) قائمة فى جزيرة العجمى ، ويسميها الأفرنج جزيرة المرابط أو ما رابوت كما يكتبونها .

ويوجد فى الجهة الأخرى من المرفأ القديم قلعة الفنار وهى قلعة مشرفة على الميناء الداخلية معززة بأربعة وعشرين مدفعاً منها خمسة من طراز أرمسترونج قطر إحداها عشرة أباهم وزنته ١٨ طنا وقطر كل من الأربعة الآخرين تسعة أباهم وزنة اثنى عشر طنا .

وفى رأس التين عدة بطاريات مسماة باسمها مسلحة بسبعة عشر مدفعا أرمسترونج منها بعض قطع من ذوات العيار الكبير ومدفعين عظيمين من نوع المونكريف يتحركان صعودا وهبوطا .

وفى الجهة الشرقية يوجد الحصن المعروف بطابية «أطه»[١] وفيه إثنى عشر مدفعاً منها ثلاثة أرمسترونج من زنة «١٢ طنا وقطر عشرة أباهم» .

وعند منتهى خط شبة الجزيرة يوجد الحصن المعروف بحصن «قايدباى» وهو حصن مبنى بالحجر وفيه إثنى عشر مدفعاً وهذا الحصن يشرف على سطح البحر الواسع ووظيفته هى أن يكون متوليا حماية مدخل المينا الشرقية ويشترك معه فى هذه الحماية الحصن المعروف بحصن «فاريليون» القائم على رأس شبه جزيرة ضيقة فى الجهة الأخرى من المينا المذكورة ممتد إلى مداخل يحميه حصن مهم يعرف بطابية السلسلة .

ويكتنف الأسكندرية من جهة اليابسة سورها العربى القديم الباقى منه فى جهة باب رشيد بعض آثار تدل على شهرته ومنعته فى الدفاع ويحتاط لها أيضاً عدة متاريس أو استحكامات قائمة على مرتفعات متوجهة بها وهى مطلة على بحيرة مبرموط ومياه ترعة المحمودية الجاريه بين هذه المرتفعات والبحيرة المذكورة . وكل هذه الأبنية من بقايا الحصون التى أنشأها الفرنسيون حول المدينة أيام الحملة الفرنساوية حيث كانت معتمدة من الخارج لكل من حصن كافاريللى المعروف بحصن نابوليون «أو كوم الناضورة» وحصن كريتين «أو كوم الدكه» ومتراس كليوباترا المعروف بحصن «ياور» فالحصنان الأولان وهما حصن كوم الناضورة وحصن كوم الدكه مرتكزان فى قلب المدينة اليوم لقيام البناء من حولهما ولكن أهميتها الحربية مفقودة لعدم وجود أسلحة فيهما من أسلحة الحصون العظيمة فالحصن الأول منهما مطلا على داخله المرفاء القديم شاهقا عظيم الإرتفاع فقد كان لا يوجد فيه من مدافع الأرمسترونج إلا مدفع واحد وزنه إثنى عشر طنا وقطرة عشرة أباهم .

(١) طابية الأطة تقع شرق حمام الأنفوشى وكلمة الأطة كلمة تركية تعنى الجزيرة ويسميها السكندريون طابية القضا .

وعند باب العرب استحكامات تعادل حصن المكس علوا وارتفاعا وتقفل لسان الأرض الواقع بين البحر وبحيرة مريوط وهى واقعة إلى ما وراء المقطع القديم الذى خرقه الإنجليز عام ١٨٠١[١] قبل خروجهم من مصر ليدخلوا به مياه البحر إلى البحيرة فأغرقت يومئذ قرى كثيرة وتحولت به صحراء واسعة يابسة نافعة إلى مستنقع ردىء مضر .

النتيجة

هذه هى حالة الأسكندرية وحالة الاستحكامات فيها قبل إنقذاف نيران أساطيل الإنجليز عليها فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢[٢] .

إيضاح وبيان

من المعلوم أن أساطيل الإنجليز الحربية داهمتنا بالحرب ونحن على غير استعداد لها حيث لم يكن موجود بالأسكندرية من حاميات الحصون المصرية غير سبعمائة رجل فقط من رجال المدافع فلذلك صار توزيع عساكر الطوبجية البرية مع ما يلزم من عساكر البياده على الحصون والقلاع الموجوده على خط النار وكذلك صار توزيع عساكر الأربع الآيات البياده على خط الاستحكامات من حصن السلسلة إلى طابية المكس فكان الآلاى الثانى فى حكمدارية خليل بك كامل شاغلا خط النار الموجود ما بين طابية المكس وباب العرب وطابية العجمى والآلاى الخامس حكمدارية مصطفى بك عبدالرحيم مشتغلا بمساعدة استحكامات الفنار ورأس التين والآلاى السادس حكمدارية سليمان بك سامى منوطا بمساعدة طابية صالح إلى الترسانه والآلاى الرابع حكمدارية عيد محمد بك بجهة «أم كبيبه» إلى باب العرب وقومندان برنجى الآى سواحل محمد بك أمين كان قائماً بترتيب القتال فى طابية الفنار ومعه الشهم الغيور سيف النصر بك وكذلك البطل المغوار الزبير باشا رحمت وقومندان ٢ جى الآى سواحل إسماعيل بك صبرى كان يدير حركة القتال فى طابية «اطه» .

(١) عمد الانجليز خلال اخراجهم الفرنسيين من الاسكندرية عام ١٨٠١ إلى قطع ترعة الاسكندرية ، وإغراق منخفض مريوط حتى يمتنع وصول أى قوات أو نجدات إلى الفرنسيين عن طريق الدلتا والنيل .
انظر محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ص ٤٥١ .

(٢) يتضح من ذلك أن المدفعية المصرية كانت قديمة وغير متكافئة مع مدافع الأسطول .
وحول قوة الحصون وقوة الأسطول الإنجليزى .
انظر عمر طوسون : يوم ١١ يوليه ص ٨٢ ـ ٨٣ .
ومحمود فهمى : البحر الزاخر جـ ١ ، ص ٢٢١ .

وكل الاى من الآيات البياده كان مؤلفا من ٣٠٠٠ آلاف رجل فيكون مجموع العساكر الذين وجدوا فى ثغر الاسكندرية يوم قتال الإنجليز ١٢٠٠٠ ألف من البياده و٧٠٠ من رجال الطوبجيه السواحل .

ومن المعلوم أن الجيش المصرى كان مؤلفا من ثمانية الآيات من المشاة وثلاثة الآيات من الخيالة وآلايين من الطوبجية البرية المخصصين لساحات القتال وثلاثة الآيات من الطوبجية السواحل المخصصين لحماية الثغور وفرقة من رجال الهندسة ومجموع ذلك فى حالة استكمال الفرق والآلايات يبلغ ٣٦,٠٠٠ ألف وفى مدة الحرب بلغ ٧٢,٠٠٠ خلاف العربان والمتطوعين[1] فكان جملة الجراية التى تصرف لجميع العساكر والمتطوعين والخدمة المشتغلين بالتجهيزات الحربية والذخائر والمؤن ١٢٠,٠٠٠ مائة وعشرين ألف جراية يومياً أو ٩٠,٠٠٠ ألف أقه . أما أنواع الأسلحة فللمشاه منها بنادق بحراب من نوع «رمينتكون» وللخيالة السيوف والغدارات المسدسة وللطوبجية مدافع من الفولاذ مضلعه من طراز كروب .

وفى القاهرة مسلحة كبيرة ومعمل للبارود وآخر فى بولاق لصب المدافع وفاوريقه عظيمة لعمل البنادق والمدافع أنشئت فى طره ولكنها لم تكمل قبل نشوب الحرب وبناؤها باقيا للآن .

ابتداء القتال فى صباح يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢

أطلقت البارجه الكسندرة[2] مدفعها الأول فى الساعة السابعه والدقيقه ٤ وتلتها باقى المدرعات الإنجليزية بطلقات عديدة وبعد خمسة دقائق إجابتها القلاع بنار حامية شديدة واستمر القتال على هذا الحال إلى قبيل الغروب حتى تهدمت الاستحكامات وتعطلت المدافع من مقذوفات المراكب الهائلة . ومن الأسف أن مقذوفات المدافع القديمة كانت لا تصل إلى المراكب الإنجليزية ومدافع الأرمسترونج لم يوجد لها من المساطر التى تعرف المسافات وتحكم الإصابة بواسطتها إلا مسطرة واحدة كانت فى

(١) تفانى الأهالى فى مساندة العرابيين فكان الرجال والنساء تحت نيران المدافع ينقلون الذخائر ويقدمونها إلى بعض بقايا الطوبجية الذين كانوا يضربونها .
الرافعى : الثورة العرابية ص ٣٥٣ .

(٢) كان الأسطول الإنجليزى الذى ضرب الأسكندرية يتكون من ثمانى مدرعات كبيرة منها البارجة الكسندرا Alexandra وهى سفينة الأميرال سيمور Seymour .
للتفاصيل انظر : عمر طوسون : يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ . الأسكندرية ، مطبعة صلاح الدين ١٩٣٤ ص ٤٢ .

محل التعليم بالعباسبة «بالبلجون» استحضرت ليلا وتسلمت إلى الشهم المقدام سيف النصر بك قومندان طابية الفنار فكان يطلق المدافع بنفسه وينتقل من محل إلى آخر ويحكم الإصابة بواسطة المسطرة المذكورة وكان معظم الدوارع التى تعطلت من المقدومات التى أحكم إطلاقها . ولو كانت مدافع الأرمسترونج ذات مساطر لأمكنها تعطيل كافة الدوارع الإنجليزية بما تقذفه عليها من المقذوفات الصائبة .

وفى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنساء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر الحربية وإعطائهم الماء وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم إلى المستشفيات .

وكنا مع جميع النظار فى طابيه كوم الدماس للاشراف على مواقع القتال وكتب رئيس النظار راغب باشا إلى جميع مصالح الحكومة والمديريات والمحافظات بانتشاب الحرب بين الإنجليز والمصريين ظلماً وعدواناً بلا سبب معقول وأن البلاد جميعها صارت تحت الإدارة العرفيه والأحكام العسكرية .

وحدث أن اشتعلت النار من تأثير مقذوفات العمارة الإنكليزية فى سراى رأس التين وكثير من بيوت الأسكندرية نعرف منها بيت (أجيون) الكائن بجوار النبى دانيال وبيت الخواجه إبراهيم بيحا وبيت الخواجه يوسف نصر ومعمل الخواجه دهان وغيرهم كثيراً ثم تخصصت عساكر الطلمبات لإطفاء حريق سراى رأس التين وغيرها من المحلات التى شبت النار فيها[١] .

وقبل غروب ذلك اليوم حضر طه باشا لطفى وسليمان باشا أباظه وحسين بك التركى من طرف الخديو ومحيى الدين بك ياور درويش باشا المندوب العثمانى ليبلغونا سلام الخديو ودرويش باشا وثناءهما على صبر العساكر وثباتهم العجيب تجاه قوة الدوارع الهائلة[٢] .

---

(١) على الرغم من أن الأميرال سيمور كان قد تعهد بألا يضرب إلا القلاع فقد تناسى وعده ونشر الموت والخراب فى كل أنحاء المدينة ، فنشبت الحرائق فى جهات عديدة : الرافعى : الثورة العرابية ص ٣٥٣ .

(٢) على الرغم من عدم التكافؤ فى التسليح واعداد المقاتلين فقد صمدت القوات المصرية فى مراكزها بعض الوقت وبذلت جهوداً ضخمة أمام قذائف الأسطول الإنجليزى .

انظر : محافظ الثورة العرابية محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣ ـ د ـ ٦ ملف ٢٢٠ .

وقد استشهد فى ذلك اليوم من جميع الطوابى مائة رجل وامرأتان من المتطوعات[١] من اللواتى كن يضمدن جروح الجرحى وفيه أخذ الإسكندرانيون فى المهاجرة من المدينة بحالة مدهشة وفيه حضر محمود باشا سامى من القاهرة للإشتراك فى الدفاع عن البلاد وبعد الغروب توجهنا مع النظار إلى سراى الرمل وعرضنا على مسامع الخديو ودرويش باشا ما حصل فى ذلك اليوم وأن الاستحكامات تخربت والمدافع تعطلت من مقذوفات المراكب الإنكليزية فحصلت المداولة بالمجلس تحت رئاسة الخديوى بحضور درويش باشا ورئيس مجلس النواب وتقرر إن عاودت المراكب الإنجليزية الضرب فى صباح ١٢ يوليه لا تجاوبها القلاع بل ترفع الراية البيضاء علامة للمخابرة مع الأميرال فى توقيف الحرب وإعادة الصلات الودية حيث أن الأميرال سيمور تحصل على غرضه بتخريب القلاع وتعطيل المدافع وبعد ذلك توجهت مع رئيس النظار راغب باشا إلى بيته الكائن على ترعة المحمودية إلى باب شرقى وأرسلنا الأوامر اللازمة إلى رؤساء القلاع والمعاقل وقضينا تلك الليلة فى المحل المذكور .

وفى صباح يوم ١٢ يوليه جاءنا رسول من طرف الخديو فتوجهنا مع راغب باشا إلى الخديوى فى الرمل[٢] فأخبرنا بأنه قد حضر قسم من العسكر إلى السراى وسألنى عن سبب حضورهم فقلت له لا علم لى بذلك ولابد أن يكون حضورهم لأجل تقوية الحرس الخديوى فقال لا لزوم لحضورهم وأن فرقة السوارى التى هنا كافية للحراسة فمرهم بالرجوع إلى محلهم فتوجهت إلى القشلاق فوجدت أربع بلوكات من الآى سليمان بك سامى ومعهم الصاغ حلمى أفندى أبو غنيم (أو هشيمة) فسألته عن سبب حضوره بالعسكر إلى سراى الخديوى فقال ان حكمدار الآلاى سليمان بك سامى أمره بذلك فحضر لتقويه الحرس الخديو فأمرته بالعودة إلى الآيه مع عساكره لعدم لزوم التقوية[٣] .

---

(١) بلغت خسائر المصريين سبعمائة قتيل وخمسمائة جريح بينما لم تزد خسائر الإنجليز عن خمسة قتلى ، وتسعة عشر جريحاً .

ويذكر الرافعى : أن عدد القتلى من المصريين نحو ألفين . انظر الثورة العرابية ص ٣٥٦ .

(٢) سأل الخديو عرابى عن نتيجة الحرب ، فقص عليه الموقف ، ولما طالبه الخديو بكتابه تقرير عما حدث رفض عرابى ذلك . الرافعى : المرجع السابق ص ٣٥٨ .

(٣) تدل الملابسات على أن حصار السراى كان يهدف منع الخديو من الاتصال بالإنجليز .

انظر أحمد شفيق : المرجع السابق : ص١٦٧ .

وفى صباح اليوم المذكور أطلقت البوارج الإنكليزية مدافعها على القلاع فرفعت هذه الراية البيضاء علامة للمخابرة وتقرر إرسال طلبه باشا عصمت إلى الأميرال سيمور لإبلاغه ما تقرر من توقيف الحرب واكتفائه بما حصل من التخريب والدمار فذهب وقابل مندوب الأميرال فى الترسانه وأخبره بما ذكر ثم توجه المندوب المذكور برفاص صغير إلى الأميرال المذكور وأخبره بما تلقاه من طلبه باشا فلم يقبل ولم يرجع بالجواب إلا بعد المساء فذهب طلبه باشا وأخبر الخديوى بعدم القبول ثم عاد إلينا وأخبرنا بما حصل .

وفى الساعة العاشره من اليوم المذكور رجعت من سراى الرمل إلى الأسكندرية مع راغب باشا رئيس النظار فلما وصلنا إلى قرب الباب الشرقى وجدنا المهاجرين من الأهالى رجالاً ونساءً وأطفالاً مزدحمين إزدحاماً شديداً ومختلطين مع العساكر الفاربين(١) الذين انتهى أمرهم بالخذلان المعيب فتركوا ضباطهم ومواقعهم الحربية حين رأوا عدم مجاوبة المراكب الحربية وإرتفاع الراية البيضاء ومن شدة الإزدحام لم نتمكن من الوصول بواسطة العربة فتركنا راغب باشا فيها وسرت ماشياً على قدمى اتخلل الناس حتى وصلت إلى ساحة الباب الشرقى فوجدت بعض الضباط هناك من الآى عيد بك محمد ومعهم نحو نصف أورطه من العساكر وباقى الآلاى ذهب مع الذاهبيين وأخبرت أن عساكر الطوبجية تركوا الاستحكامات وتوجهوا إلى بلادهم مع أهالى الأسكندرية وكذلك عساكر البياده اقتدوا بعملهم هذا .

وكذلك بلغنى أن سليمان بك سامى فى حالة هيجان شديد(٢) وأنه حضر بجماعة من العسكر إلى المنشية وإنه يريد حرق الأسكندرية قبل تركها للعدو وأن عساكره كسرت بعض الدكاكين وأخذت منها بعض الأقمشة فأرسلت له إبراهيم بك فوزى وعمر بك رحمى وغيرهما من الضباط لمنعه عن ما عزم عليه وسرعة حضوره بما معه من العساكر فحضر وسألته عن ما نسب إليه فقال له لم يكن من ذلك شىء ثم أنه توجه إلى

---

(١) طلب الخديو من المصريين الفارين من الأسكندرية العودة إليها حتى تستقر الأحوال ، وكان قد بلغ عددهم حوالى ١٥٠ ألفا .

انظر أحصاء جون نينيه فى كتابه عرابى باشا ص ١٨٢ .

(٢) تردد فى وثائق الثورة العرابية وغيرها من المصادر أن سليمان سامى شرع فى حرق الأسكندرية ، وبدأ ذلك فى جهة المنشية وقد تناقض عرابى فى أقواله حول إتهام سليمان سامى بذلك فمرة ينفى التهمة ، ومرة يؤيدها . وقد ذكر عرابى فى خطاب منه إلى المستر بروولى أنه لا يبرىء سليمان سامى من هذه التهمة .

انظر : Broadley: The Trial, Exile and Pardon of Arabi Pacha .

عسكره فجمع ما وجده معهم من الأقمشة وأشعل فيها النار[١] فلما رأيت ذلك وبخته كثيراً وتبرأت من عمله هذا إلى الله وأشهدت عليه السماء والأرض والحاضرين أنه هو المسؤول عن عمله هذا دون غيره .

وقع الرعب والفزع فى قلوب العساكر ودب فيهم دبيب الفشل واستولى عليهم الخذلان فتشتت أكثرهم لما هالهم من تخريب الطوابى ولما رأيت ذلك وعلمت أنه لا يقدر على جمع فلول الجيش بعد خذلانه إلا القليل من القواد الموفقين حاولت أن أوفق لجمع شتيتهم فخرجنا بمن أمكن جمعهم فى الغروب إلى جهة حجر النواتيه وهناك ضرب النفير نوبة جمع فتوارد بعض المنتشرين فى الفضاء .

وفى صباح ١٣ يوليو سنة ١٨٨٢ توجهت بمن اجتمع معى من العسكر إلى عزبة خورشيد ثم إلى كفر الدوار واتخذناه مركزا جديدا[٢] وكتبت إلى محطات السكة الحديد والمديريات والمحافظات بسرعة إرجاع العساكر إلى كفر الدوار للمدافعة عن الوطن فرجعوا جميعاً وأخذنا فى إنشاء استحكامات خفيفة وتحصين التلال القديمة وجعلنا الخط الأول من الاستحكامات عند عزبة خورشيد خلف الملاحة .

وفى يوم ١٥ يوليو أرسلنا قطار الخديو بالسكة الحديد لركوب الخديو وعائلته من سراى الرمل وحضوره إلى عاصمة البلاد وقطار آخر لركوب الذوات والعساكر الذين بمعية الخديو[٣] فلما رأى الخديوى ذلك أسرع فى التوجه بمن معه من عائلته ومن الذوات والنظار والعسكر إلى سراى رأس التين[٤] تحت رعاية الإنكليز وأظهر إنحيازه إلى العدو المحارب لبلاده وتم له ما أراد مما غاب عنا علمه .

---

(١) بيعت بعض المسروقات التى نهبها العساكر وبعض الأهالى بسوق كفر الدوار دون أن يتعرض أحد من العسكريين لضبطها أو لجمعها وتسليمها للمديرية .

محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ١٩ دوسيه ٩٤ .

(٢) إنسحب العرابيون إلى كفر الدوار ، وأعادوا تنظيم استعداداتهم العسكرية هناك .

(٣) كان من رأى درويش باشا أن ينتقل الخديو إلى بنها ثم إلى السويس إذ لا يليق بحاكم البلد أن يبقى فى المدينة التى وقعت فى قبضة العدو ولكن الخديو أعلن عن رغبته فى التسليم الشناوى : مرجع سابق جـ ٤ ، ص٢١٧٤ .

(٤) أرسل الخديوى إلى قائد الأسطول يبلغه بالتسليم ويطلب منه التواجد بقصر رأس التين لحمايته .

الفصل الثامن

فى العمارة الإنجليزية

إن قوة العمارة الإنجليزية كانت مؤلفة من ثمان دوارع وهى :

١ إنفلكسيبل[١] Inflexible .

١ مونارك Monark .

١ تمرير Temerre .

١ الكسندره Alexandra .

١ سوبرب Superb .

١ سلطان Sultan .

١ انغسيبل Invincible .

١ بينلوب Panelope .

ومن خمس سفن مدفعية وهى :

١ ديكوى Decoy .

١ سينت Cyanet .

١ كوندور Condor .

١ بيترن Beettern .

١ بيكن Becon .

إنفلكسيبل Inflexible

إنشئت هذه الدارعه عام ١٨٣٦ وهى من أقوى الدوارع الإنكليزية وأعظمها يعلو

---

(١) أطلقت مقذوفاتها التى كانت تزن القذيفة منها ١٧٠٠ رطل على حصن الفنار وحول قوة الأسطول الإنجليزى وتحركاته خلال ضرب الأسكندرية .

انظر عمر طوسون : يوم ١١ يوليه ص ٩٣ ـ ١٠٢ .

سطحها بناء عظيم يحتوى على آلات السفينة البخارية ومداخنها والدولاب الذى تدار به أثناء القتال وعلى برجيها العظيمين .

وأسفلها تحت الماء ١٣٦ متر أما بقية أجزائها فمدرعة بالحديد تحتوى على ٣٥ حجره وأما البرجان فكل منهما معزز بمدفعين قطر كل منهما ١٦ إبهاما وزنه ٨٠ طنا وهما مبنيان على خط منحرف الزاوية يمكن به أن تطلق المدافع الأربعة منهما دفعة واحدة إطلاقاً محكماً ويمكن أن يطلق مدفع واحد من كل منهما على إنفراد وعدد رجال هذه الدارعه ٣٤٩ ومحمولها ١١٤٠٠ طن .

مونارك Monark

إنشئت هذه الدارعه سنة ١٨٦٨ وهى كالدارعه السابقة الذكر فى وسطها برجان فى كل منهما مدفعان من قطر ١٢ إبهاما وزنه ٢٥ طنا ويمتد على جوانبها درع متين وفى مقدمها مدفعين من قطر ٩ أباهم و١٢ طنا وفى مؤخرها مدفع قطره ٧ أباهم وزنه ٦ طونلاته ونصف طونلاته وعدد رجالها ٥١٥ ومحمولها ٨٣٢٠ طنا .

تمرير Temerre

إنشئت سنة ١٨٧٦ مسلحة بستة مدافع من قطر ١١ إبهاماً وزنه ٢٥ طنا وأربعة مدافع من قطر ١٠ أباهم وزنه ١٨ طناً وفى برجيها مدفعان من قطر ١١ إبهاماً أيضاً وزنه ٢٥ طناً وعدد رجالها ٥٣٤ ومحمولها ٨٤٥٠ طناً .

ألكسندرة Alexandra

إنشئت فى سنة ١٨٧٥ وهى مسلحة بثمانية مدافع من قطر ١٨ إبهاما وزنه ١٨ طنا وأربعة مدافع من قطر ١١ إبهاما وزنه ٢٥ طنا وعدد رجالها ٦٧١ ومحمولها ٩٤٩٠ طنا .

انفنسيبل Invincible

كان إنشاؤها فى سنة ١٨٦٩ وهى مسلحة بستة مدافع من قطر ٩ أباهم وزنه ١٢ طناً وأربعة مدافع بالطبقة السفلى وعدد رجالها ٥٤٠ ومحمولها ٦٠١٠ طنا .

سوبرب Superb

كان إنشاؤها سنة ١٨٧٥ وهى مسلحة بإثنى عشر مدفعاً من عيار ١٠ أباهم وزنه ١٨

طنا وثلاثة مدافع من عيار ٦ أباهم وزنه ٧ طونولاتات وعدد رجالها ٦٢٠ ومحمولها ٩٠٠٠ طنا .

بينيلوب Panelope

انشئت سنة ١٨٦٧ وفيها ثمانية مدافع من عيار ٨ أباهم وزنه ٩ «طونولاتات» وثلاثة مدافع من عيار ٤٠ رطل وزنه ٣٥ طنا .

وفى كل هذه الدوارع مدافع أخرى من المدافع الرشاشة (متراليوز) وغيرها من طراز كاتلنك .

السفن المدفعية

كوندور Condor

قوتها ثلاثة مدافع منها ١ من قطر ٧ وزنه ٦,٥ طن و٢ من عيار ٦٤ رطل ، وملاحوها ١٠٠ ومحمولها ٧٨٠ طونولاته .

بيترن Beettern

قوتها ٥ مدافع منها ٢ من طراز أومسترونج من عيار ٤٠ رطل ورجالها ٩٠ ومحمولها ٨٠٥ طونولاته .

بياكون Becon

قوتها ٤ مدافع وملاحوها ٧٥ ومحمولها ٤٣٠ طنا .

ديكوى Decoy

قوتها أربع مدافع ورجالها ٥٩ ومحمولها ٤٥٥ طنا .

وهاك ترتيب تلك السفن وقت القتال مع الحصون

جعل الأميرال كلا من إالكسندره وسلطان وسوبرب فى المضايق التى ينتهى عندها مدخل ميناء الإسكندرية .

وبقيت السفن انفنسيبل ومونرك وبينلوب فيما داخل المضايق المارة الذكر مأمورة بإطلاق مدافعها على الحصون والبطاريات الواقعه عند رأس المرسى والميناء الداخلية .

أما السفينتان تيمبرير وانفلكسيبل فكانتا مأمورتان بإسعاف السفن الأخرى عند الحاجة إلى الإسعاف .

المسافات

من ١٤٠٠ متر إلى ١٧٠٠ متر بين بطاريات رأس التين وقلعتى «أُطه وفاروس» وبين السفن الكسندرة . وسلطان . وسوبروب إلى الجهة الغربية الشمالية ٣٤٠٠ متر بين السفينه . «انفلكسيبل» . فى الجهة الشمالية الغربية وبين طابية المكس ٣٠٠٠ بين السفينه تيميرير . إلى الشمال الغربى وبين المكس أيضاً من ٩٠٠ إلى ١٥٠٠ متر بين السفينه مونرك . وانفنسيبل . وبينلوب . إلى الشمال الجنوبى وبين قلعة المكس .

وكان الأميرال بوشان سيمور مقيما فى السفينة . انفنسيبل .

السفن المدفعية

أما السفن المدفعية فجعلت مراكزها خلف خط الدفاع على مسافة بعيدة من الحصون لكى لا تصل قنابلها إليها وكانت وظيفتها أن تنجد السفينة التى تحتاج إلى النجدة ولذلك أنجدت السفينة . كوندور . الدارعة تيمرير عندما أصابها الضرر وكان ذلك فى الساعة السادسة والدقيقة ٢٠ صباحاً .

إنقذاف النار

أطلقت ألكسندرة مدفعها الأول فى الساعة السابعة والدقيقة أربعة وكان مركزها فى الطرف الشرقى من خط القتال موجهة نحو استحكامات رأس التين .

وبعد ذلك بخمس دقائق بدت من جانب الانفنسيبل علامة الحمل العام على استحكامات إسكندرية فأخذت السفن . بونرك . وبينلوب . والكسندره . وسلطان . وسوبرب . تطلق مدافعها على بطاريات رأس التين وطابية الفنار .

فأجابتها القلاع بنار شديدة حامية وقد أصاب السفينة بونرك من أسباب الانقطاع عن إطلاق النار أكثر مما أصاب غيرها .

وكانت السفن الثلاث الكسندره . وسلطان . وسوبرب . تنتقل على التعاقب من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى وتطلق مدافعها على الاستحكامات إطلاقاً متوالياً وتقدمت المدفعية سينيه إلى جهة رأس التين وأخذت ترميها بنارها المهلكة .

وكانت السفينة انفلكسيبل تطلق مدافع أحد برجيها على رأس التين ومدافع برجها الآخر على حصن المكس . أما مونرك فكانت قد ابتدأت بإطلاق مدافعها ولكن نارها انقطعت وتعطلت بعد وقت يسير من شروعها فى القتال .

وأما الانفنسيبل فقد استمرت على رمى الاستحكامات الواقعه على طول خط الساحل بين المرسى وحصن المكس وحذت حذوها الدارعة بنيلوب وكذلك الدارعة تيمرير . أصلت طابية المكس ناراً حاميه حتى تعطلت مدافعها ماعدا أربع مدافع فيها من العيار الأعظم استمرت على رمى سفينة الأميرال «انفنسيبل» بنارها وقد أحكمت إيصال مقذوفاتها إلى هذه السفينة مراراً متعددة وفى الساعة العاشرة ونصف وقعت قنبلة على مخزن البارود الكاين فى طابية المكس فأشعلته وكان لإلتهابه صوتا هائلاً .

وعلى أثر وصول القنال الى هذه الدرجة عمد حصن«مارابوت[1] الى الاشتراك فى الدفاع وكان قد بقى الى ساعة ابتدائه بالجملة معفيا من حملات السفن الانجليزية فوجه ناره على السفن الثلاث التى كانت مستقرة فيما داخل المضايق فانسلحت المدفعية«كوندور عن الدارعه» تمرير لانقطاع احتياجها اليها واندفعت نحو ذلك الحصن ترميه بنارها فاشتبكت معه بقتال شديد وفى الساعة العاشرة ونصف قدم لنجدتها السفن «بيترن» و«بيكون» و«ديكوى» و«سينيه» واستمروا على القتال حتى تعطلت مدافع الحصن المذكور ولم يبق منها الا مدفع واحد صالح للعمل

ثم اتجهت السفن الأربع المذكوره نحو حصن المكس واشتركت مع الدوارع فى تدميره فدكته دكا . وكذلك تقدمت السفن «الكسندره» وسلطان و «سوبوب» على مسافه ٧٠٠متر من حصن فاروس . وطابيه «أطه» وأخذت فى اطلاق مدافعها عليهما غير غافلة عن رمى بطاريات رأس التين ببعض القنابل . وكان اسماعيل بك صبرى فى طابيه «الأطه» يدير حركة القتال فى الحصنين المذكورين فصب على السفن المذكوره نارا حامية وابلى بلاء حسنا فى قتالها فحضر لانجادها الدارعة «انفلكسييل» والدارعة «تيميرير» واشتركا فى قتال الحصنين المذكورين .

---

(١) اسم آخر لقلعة العجمى .

وفى نحو الساعة الثانية بعد الظهر اندفعت من السفينة «انفلكسيل» قنبلة نسفت مخزن البارود الكائن فى حصن طابية «الاطه» وفى نحو الساعة الرابعة خمدت نار الحصنين اثر تخريبهما وتعطيل اسلحتهما واستشهاد رجالهما .

وفى الساعة الخامسة استأنفت الدارعتان «مونرك» وبنيلوب» اطلاق المدافع على حصن نابوليون والاستحكامات الواقعة فيما داخل الميناء وفى الساعة الخامسة ونصف انقطعت النار عن خط القتال بناء على أمر الاميرال .

ولبثت السفن الانكليزية مدة الليل مستقرة فى مراكزها ففى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى دفن الانجليز قتلاهم . ثم ابتدأت الدارعة انفلكسييل . والدارعة تيميرير . باطلاق النار فى الساعة العاشرة ونصف على الاصطلاح الافرنكى ولم تطلق كل منهما اكثر من عشر طلقات اما الحصون فلم تجبهما البتة .

ثم ارتفعتا راية المخابرة فوق رأس التين فطلب الأميرال شروطا لايمكن قبولها لعدم موافقتها [١] .

بعد القتال[٢]

ان مدافع المكس ورأس التين تعطلت بتمامها واما حصنى فاروس وأطه تدمرا برمتها وكذلك الفنار الكائن فى رأس التين أصيب باضرار جسيمة .

أما ما يتعلق بالمضار التى لحقت بالمدينة من جراء تجاوز القنابل الى بعض ابنيتها فمما لاريب فيه فقد ورد عنه فى جريدة الطان ما معربه

اصابت بعض مقذفات السفن الانكليزية المطلقة على حصن نابليون مساكن الأوربيين التى تبعد كثيرا عن خط القتال وسقطت قنبلة متقدمة من السفينة (انفنسيبل) فى المستشفى الاوروبى الذى كان محتضنا اذ ذاك الراهبات وعلى ٨٣ يتيما و٦٠ مريضا فخرقت مرقد الراهبات ولكن لحسن الحظ لم يكن فيه احد ثم استقرت فى الطبقة

(١) انظر سليم النقاش : المصدر السابق جـ ٥ ص ٨٥ - ٩٠ .

(٢) تضاربت اقوال الصحف حول الخسائر التى لحقت بالحصون وهذا التقرير الذى نقله عرابى من سليم النقاش مترجم من جريدة جرافيك الانجليزية . انظر سليم النقاش : جـ ٥ ، ص ٦٠ .

السفلى من المستشفى ولم تنفجر فيه . وكان المستشفى مملوءا برايات الصليب الأحمر . ولكن الانكليز اكدوا انهم لم يروا فوق هذه البناية راية قط[١] .

فيعلم من ذلك ان الانكليز كانوا لايبالون بتدمير البنايات التى لم تكن عليها رايات الصليب الأحمر .

وقالت جريدة التيمس انه قد سقط فى شوارع الاوربيين الكائنة فى جوار القنصلية الانجليزية بعض من قنابل السفن وكان متوسطها على مسافة ٢٠٠٠ متر من حصن فاروس الذى وجهت عليه فنشأ عنها اضرارا كثيرة[٢] .

(فصل مدافع الاستحكامات فى السفن الانجليزية)

قد اضرت مدافع الاستحكامات ببعض السفن الانكليزية على ماجاء بالنشرة العسكرية الانكليزية بالرغم عن قلة الاحكام والاجادة فى اطلاقها بسبب عدم وجود (مساطر) لمدافع الارمسترونج وبسبب ان دخان المدافع كان مخيما حاجبا تحقيق الاصابة فى السفن المحاربة عن ابصار عساكر الطوابى بحيث انهم صاروا لايرون حركات السفن المذكورة .

قد اصيبت الدارعة (الانفنسيبل) بعدة قنابل عطلت الاجزاء غير المدرعة من السفينة وانفجرت واحدة جرحت سته رجال من رجالها

واصيبت الدارعة (سلطان) بثلاث وعشرين اصابة اتلفت صواريها ومدخنتها وخرقت قنبلتان الجدران غير المدرعة منها .

وتعطلت زوارق السفينة (انفلكسيبل) بقنابل الحصون وكانت السفينة (سوبرب) اكثر سفن العمارة تشكيا مما لحق بها من جسامة الضرر فان قنبلتين اخترقتا درعها ومدخنتها على ما جاء فى الرسم الذى نشرته جريدة (الفرافيك) الانكليزية . وتعطلت احد مدافع (دبنيلوب)[٣] .

أما الدارعة (الكسندره) فقد اصيبت بعدة قنابل فى جدرانها[٤] .

(١) سليم النقاش جـ ٥ ص ٦٠ .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه .
(٤) للتفاصيل انظر : عمر طوسون يوم ١١ يوليو ص١٠٩ - ١١٠ .

وتعطل فيها مدفعين احدهما من عيار ١٠ اباهم وزنة ١٨ طنا والآخر من عيار ١١ ابهاما وزنه ٢٥ طنا[١] . هذا خلاف ما اصاب السفن المدفعية التى لم يظهر بيان اصاباتها .

(خسارة الأنفس من السفن الانكليزية)

(سلطان) قتيلان وسبعة جرحى .

(سوبرب) قتيل واحد وثلاثة جرحى .

(الكسندره) قتيل واحد وجريحان[٢] .

(انفنسيل) سته جرحى .

وجملة ذلك خمسة قتلى وتسعة عشر جريحا . وفى ذلك من اخفاء الحقيقة مالا يخفى على ذوى البصائر النيرة .

معدل الطلقات فى الساعة

قد كان معدل الطلقات من كل مدفع من الفريقين سته فى الساعة وقد خصت الدارعه الكسندرةبذكر انها اطلقت وحدها ٤٢٠ قنبلة كما قيل وكما ذكر بالنشرة الانكليزية العسكرية .

بعد خروج العساكر من المدينة

دخل الأعراب المدينة واشتركوا مع رعاع الناس فى نهب الدكاكين وحرقها واشعال النار فى كثير من البيوت[٣] ثم خرجت عساكر الانكليز الى البر فى يوم ١٥ يوليو وتفرقوا فى شوارع المدينة يطلقون الرصاص على كل من وجدوه من الأهالى ليلا ونهارا وقبضوا على مفاتيح أبواب المدينة ووضعوا فيها القره قولات اللازمة .

---

(١) قيل انهما تعطلا بانقذاف نارهما ، انظر سليم النقاش : المصدر السابق ج٥ ص٩١ .

(٢) يذكر النقاش انهم ثلاثة جرحى أما السفينة انفلكسيل فكان فيها قتيل واحد وجريحان وهو ماسقط من كتاب عرابى . انظر . المرجع السابق ج٥ ص ٩١ ، ويؤكد ذلك أن عرابى أخطأ فى حساب جمع أعداد القتلى والجرحى كما هو بين فى نفس هذه الصفحة .

(٣) ان تهمه حرق الاسكندرية ينبغى ان توجه لاكثر من طرف فقد اشترك فيها الى جانب العربان الاوربيون بقصد المبالغة فى التعويضات ، وبعض العساكر . للتفاصيل انظرعبد المنعم الجميعى : الثورة العرابية ص ٦٠ - ٦١ .